المَوسُوعة الصَغيرة

سلسلة ثقافية نصف شهرية تتناول
مختلف العلوم والفنون والاداب

تصدرها دار الحاحظ للنشر

رئيس التحرير: مُوسى كريدي

الكتاب القادم :

هنا بدأ التاريخ

(حول الاصالة في حضارة
وادي الرافدين)

تأليف: س. ن. كريمر
ترجمة: ناجية المرايني

السعر ٥٠ فلسا

دار الحرية للطباعة - بغداد

الموسوعة الصغيرة
٧٦

تيارات حديثة في الأدب الألماني

د. مصطفى عبد الحميد

مصطفى عبدالغني

من مواليد البصرة 1928

أكمل دراسة الابتدائية والثانوية في البصرة

تخرج بدار المعلمين العالية 1955

أكمل دراسة الدكتوراه في جامعة لايبزك 1968

في موضوع الجاحظ

من مقالاته

1) انعكاس تجربة ابي تمام عند المتنبي

2) ملامح من صورة البطل عند المتنبي

3) نظرية الجاحظ في الترجمة

4) دور الجاحظ في النقد

5) نماذج من التعقيد عند ابي تمام

أصغيرة

منشورات دار الجاحظ للنشر ـ وزارة الثقافة والاعلام

آب ١٩٨٠ ـــــــــــــــــــ بغداد

P 3/0 ٠

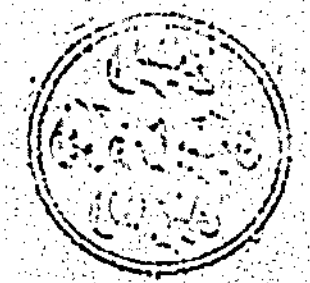

رقم الايداع بدار الكتب ٨٢/٥٠٨٢
الترقيم الدولي I.S.B.N. ٩٧٧-٠١-٠٢٤٩-٤

(٧٦)

كلمة لابد منها

تيارات حديثة في الادب الالماني

د. مصطفى عبدالحميد

كلمة لابد منها

سئلت من بعضهم : لماذا هذا الموضوع اولا ؟ ولماذا في هذا الوقت بالذات ؟ وقد اثارني الاستفسار لاضع امام اعين القراء الظواهر الادبية التي يمكن ان تنتفع منها اجيالنا من الادباء الناشئين .. انه ليس من باب الاتهام ان اقول ان متابعة ما هو مطبوع من ادب عمالي وفلاحي في عراقنا الحبيب لا يحسنا بالتصاق شخصية الاديب بما يمثله من ادب وما تمثله من تجربة ـ يفترض انها تعي ابعاد الواقع المعاش ـ فنحن لم نجد من المقومات المخلصة ما يكفي لاغناء التجربة الادبية واصالتها . ادب عمالنا البواسل وفلاحينا الاشاوس يكتب في وطننا من وراء المكاتب ، وليس في الحقل او المصنع ، ويعزى السبب لغياب الاديب العامل والاديب الفلاح عن الساحة للقصور الثقافي في هاتين الطبقتين ، وطفولة تجربتهما في هذا الميدان .

وقد اتت ثورتنا المباركة المعطاء ثورة السابع عشر من تموز الى هذه الثغرة ، فشرعت قانون التعليم الالزامي فكان مكسبا جديدا من المكاسب الكثيرة التي حققها الحزب والثورة لهاتين الطبقتين.

في قانون التعليم الالزامي طاقة فاعلة لتغطية هذه الظاهرة الادبية وستكون النتيجة بكل تاكيد باهرة ، وستاتي التجربة الرائدة بالثمرة .. وقد لا تكون ناضجة اول امرها غير انها مع الزمن تنضج وتتالق اسوة بما عند الشعوب الاخرى من التجارب في هذا الحقل .

في الادب الالماني ـ الذي نحن بصدده ـ اديب عامل ، واديب فلاح ، وكلاهما يعيش لتجربة المصنع او المنجم او الحقل ، والاسماء مختلفة والامثلة كثيرة وعلى ذلك فاني ساجتزىء مثالا من كل طبقة ليكون نموذجا للحديث فقط .

الاديب العامل يمثله ماكس فون دركرون
Max von der grün

المولود في ٢٥ ـ ٥ ـ ١٩٢٦ في مدينة بايروث الالمانية وهو قاص وشاعر من المانيا الغربية وقصته النموذج بعنوان «البصيص والشعلة» Irrlicht und feuor كان ابنا لصانع احذية . تعلم مهنة بائع ، وفي الحرب

العالمية الثانية جند ، ثم وقع في الاسر ، ونقل الى لويزيانا في الولايات المتحدة ثم الى تكساس ومنها الى نيومكسيكو . عند رجوعه الى وطنه عام ١٩٤٧ اشتغل عاملا في البناء ، ثم تركه واشتغل عامل مناجم من ١٩٥١ ـ ١٩٦٣ في منطقة الرور ، وهذه الفترة قد اغنت قصتهالناضجة حقاباصالةالتجربة. كتبها عام ١٩٦٣ ، فروى من خلالها حياة عمال المناجم وما يلاقون فيها .

انها تفاصيل حياة مرهقة عاشها كاتب الرواية فصور احاسيسه وبالتالي احاسيس عمال المناجم بدقة متناهية، ولو ان الروايةعرضت بضمير «الانا» Ich ، لكنه عرض فني للاحداث مخلص واصيل في كل تفصيل . ان قصته هذه جعلته مشهورا خارج بلده المانيا وقد طبعت في ثلاثة وعشرين قطرا في العالم .

ونموذج الاديب الفلاح يمثله ارفين شترتماتر
Erwin Strittmatter

ولد هذا الاديب في ١٤ ـ ٨ ـ ١٩١٢ في سبرمبرك وهو قاص وكاتب دراما . كان ابنا لفلاح صغير مهنته صنع الخبز . في عمر السادسة عشرة زار شترتماتر المدرسة الاولية ، وتعلم مهنة الخبازة ، ثم اشتغل في عدة اعمال صغيرة .

قصته اولة بينكوب Öle Bienkopp كتبها في عام ١٩٦٢ ، وتناول موضوعها الفلاح وعلاقته بالارض ، والارض وتاثيرها على تطور الريف،وصور ماجد في مجتمع الجمعيات الفلاحية الاشتراكي من مشاكل خلال نموذج الفلاح اولة بينكوب الضخم . في هذه القصة الفلاحية الاشتراكية يتعرض المؤلف لنماذج كثيرة،ويظهر ملامحهم بحجمها الطبيعي.انه يتحدث عن جوهر مشاكلهم الفلاحية في التعاونية الزراعية ، والصعوبات التي تواجه التنظيمات الاشتراكية .

لقد عاش شترتماتر في قرية دولكوف Dollgow من مقاطعة كرانزيه Gransee كعضو في الجمعية التعاونية . وهو يمارس الزراعة شخصيا ويربي الحيوانات . ان قصته تستمد وجودها من دقائق حياته اليومية ، فانه يتحدث كمتخصص عن كل ما يتعلق بحياة الفلاحين وبلغتهم انه فلاح مثقف حقا . الظاهرة الاخرى : الفاشية : انها عدوان على الانسان وحقه في الحياة في كل زمان ومكان . وطغمة الصهيونية الحاكمة وارثة شرعية للفاشية تمارس كل انواع الوحشية في قرننا هذا وباسناد من الاستعمار العالمي ، ولهم شعراء يمجدون اعمالهم اللاانسانية ، وادباء يساندونهم في

انواع ادبية اخرى في الدراما والقصة والرواية . وقد رفض الادباء الالمان موقف فئة منهم كانت مع الفاشية ففضحوها واوقفوا العالم على الخلفية التي تستند اليها هذه الفئة . اننا يجب ان نتعلم محاربة الصهيونية الفاشية العنصرية في شخصية كتابها . فالكتاب الصهاينة يحملون في حياتهم الصفات نفسها التي حملها ادباء الفاشية ، فهم يضللون العالم بواقعية سحرية زائفة ،ويغيرون الحقائق الى اكاذيب مزوقة كي يستروا وحشية مذهبهم .

لقد آن لامتنا العريقة ان تقف متفائلة قوية بالرغم من كل الزوابع الوقتية في وجه هذا الطغيان والانحدار اللاانسانيين لتوقفهما الى غير رجعة.ان نهاية الفاشية الصهيونية وشيكة ، وسيحصل لها كما حصل لالمانيا الهتلرية .

وبعد يا قارئي العزيز : اليست هاتان الظاهرتان سببين كافيين يدفعان الى الحديث عن الادب الالماني في هذه الفترة ؟

نعم نحن نملك ادبا فلاحيا وعماليا لكنه يحتاج الى اصالة اكثر والى امتداد جذور تجربته الى التربة التي نشأ فيها ، ولا اعني ان يكون اقليميا او محليا ضيقا . انا نريده انسانيا يتحدث عن الانسان

العربي بكل طموحه وتطلعاته الى مستقبل افضل .
ان الامل الذي نعلقه على الاجيال القادمة ـ اجيال الطلائع ـ كبير جدا ، ويبشر بالخير الوفير ، فهم الذين سيكتبون الصفحات المضيئة لتاريخ ارضنا المعطاء ، وامتنا العظيمة في كل بلادنا العربية ، ومنهم ستكتب الطبقة العاملة وطبقة الفلاحين مواهب وطاقات جديدة .

الدكتور مصطفى عبدالحميد
البصرة في ٢٠ ـ ٨ ـ ١٩٧٨

★ ● ★

المانيا بعد الحرب العالمية الثانية

كانت قطاعات كبيرة من الشعب الالماني تعاني وضعا نفسيا حادا هو في واقع الحال نتيجة طبيعية لما خلفته الحرب وراءها من خراب ودمار ، ومن احساس بالتمزق والضياع ، وفقدان الثقة بالنفس وسيطرة القنوط . وكان انكسار المانيا الفاشية وانحسار ظلها المظلم المرعب هزيمة ساحقة للطغيان والتعصب والدكتاتورية ليس في المانيا وحدها بل في جميع اوروبا .

فجيوش الحلفاء قد دخلت برلين في مايو عام ١٩٤٥ ؛ مساعدة على ارتفاع صراخ احساس الفرد الالماني بازمته ، خاصة ان الشعب الالماني قد انقطع عن العمل ، الذي هو ـ في نظره ـ عصب وجوده ومضمون حياته الانسانية في البناء والتقدم البشري. في هذا الوقت بالذات اشتدت حاجة الشعب الالماني لشعرائه وكتابه ، وقد كانت اكثر شرائح الشعب وقطاعاته تنتظر من هؤلاء الاجابة عن اسئلة كثيرة

تتعلق بوضعهم المأزوم : ترى لماذا هـذا الوضـع ؟ والى ايـن تسـير المانيا ؟ وغـيرها من التساؤلات الكثيرة التي كانت تشكل هموما لمعظم الناس . وكان اكثرهم يتوقع صوتا شعريا متفائلا مشرقا يكـون بمثابة بصيص امل وسط هذه العتمة . وقد كان يقع فعلا ان اصواتا ترتفع في بعض الاحايين معلنـة عن فاقة الشعب الالماني ،ولكنها اصوات لم تغط ما اعتمل في نفوس الناس من هموم كبيرة وتوقعات كثـيرة .

لقد لمس الشعراء والكتاب هذا الاحساس الملح ولمسوا الى جانب ذلك انتظار الشعب الالماني من ادبائه وشعرائه الدعـم والافصـاح عما يجـول في الخواطر من بعث الايمان الحقيقي بشعب المانى ضمن اطار ادب معاد للفاشية ، وبث روح متفائلة تدفع الجماهير الى اعادة بناء ما دمرته الحرب ، ورفـع الهمم لازالة انار الخراب والدمار . وكانت تقع على الادب مهمة اخرى لـم تكن اقل اثـرا من المهمات السابقة وهي ان يعيد الشعب النظر في تربيـة الاجيال القادمـة ، وان يعطي دفعا جديـدا لتيار التربية الجديد ليزيل الخراب الروحي الذي تركته الفاشية وراءها .

وقد جسد الادب المعادي للفاشية هذيـن

الاتجاهين ، فاثبت جدارته في هذا المجال ، وبرهن على انه قوة هائلة قادرة على بعث جميع النزعات الخيرة في النفس الانسانية ، ومن ثم فانه قد تمكن من بعث الادب الوطني الاشتراكي بعد عام ١٩٤٥ .

لقد اصبح هذا التيار الادبي المسار الرئيس لتطـور الادب الالماني وظهـر جليا في اعمال الكتاب والشعراء آنذاك ، وبدا يتبلور مـع الظروف التي جدت على الحياة في المانيا .

وتنبأ كتاب وشعراء هذا الاتجاه باجوبة الكثير من الاسئلة المتعلقة بالوضع الراهن وكانوا يبنـون توقعاتهم على دراسة الظروف الموضوعية لوضـع ما قبل الحرب وما بعدها في مجتمعهم ثم يجيبـون عن التسـاؤلات الاكثر حدة في نتاجاتهم وكانت كلها تـدور حـول : الى ايـن تسـير المانيـا اذا بقيت الايديولوجية القديمة مسيطرةعلىالعقلية الالمانية ؟ ومن اين يتشكل الموقف الفني الانساني في الثقافة الوطنية وفي الادب الوطني ؟

ومن اجل ان يتشكل موقف فنـي محـدد في الادب الوطني يستوعب جميع هموم الانسـان الالماني المتمزق بحث معظم شعراء وادباء المانيا عن نموذج الانسـان ثم حركوه ضمن المفاهيم الانسـانية للوطنية

والقومية ، وحاولوا ان يؤكدوا من خلال ذلك على معاداة الفاشيـــة .

فالشاعـــــر يوهانـــس . ر . بشـــــر Johannes R. Becher في اشعـاره الموسومـة « نقطـــة المراقبـــة السامقـــة » المطبوعـة عام ١٩٤٦ ، وفيلي بريدل Willi Bredel وآدم شارر Adam Scharrer في رواياتهما واقاصيصهما واريش فاينـرت Erich Weinert في قصائـده المتنوعة ، وبـرتولت بريشت Bertolt Brecht وفريدريش فولف Friedrich Wolf في اعمالهما الدرامية استطاع هؤلاء جميعا الاجابة عن الاسئلة المطروحة بالرغم من اختلاف انماطهم الادبية المكتوبة، ووجهات نظرهم الملتزمة فكانت تشكيلا لموقف فني فرضته ظروفهم القاهرة تلك ، يضاف الى ذلـك الاعمال الصحفيـة ، وروايـات اكابـر الكتـاب البرجوازيين الواقعيين الانتقاديين كروايات توماس مان Thomas Mann وهاينريش مان Heinrich Mann وليون فويشت فانكـر Lion Feucht Wanger وليونارد فرانك Leonhard Frank ممن اسهموا في اجتثاث الفاشية من المانيا .

لقد شب نضال عنيف ، وبشكل مواجهـة مباشرة بين قوة اعداء الفاشية الدمقراطيين ، وبين بقايا الجيوب الفاشية التي تحاول انقاذ الامبريالية الالمانية ، واجهزة الدولـة القديمـة ، فكانت جزءا رئيسا انعكس على مهمة الادب ، وظهر في تكوين الموقف الفني للثقافة القائمة اضافة الى محاولـة اعداء الفاشية الدمقـراطيين في تحقيـق انقلاب في الاوضاع القديمة لبناء الدولة الالمانية الجديـدة بالمفهوم العصـري ، وازالـة آثار التعصب القومي والروح العسكرية وقد بانت عناصـر هـذا كله في التكوين الفني للموقف الادبي ، وكانت العبر المستقاة من تاريخ المانيا قد برهنت بشكل صريح ان حـل معضلات الشعب الالماني ، وقضاياه الحياتية لا تتم الا عن طريق الديمقراطية الحقيقية فحسب ، وعندما تتـاصل جذور الاستعمار والفاشية والعسكرية والقوى الرجعية بكل اشكالها وصورها ... عندها فقط سيحقق الشعب الالماني لنفسه حياة افضـل ولهذا فان طـروحات المثقفين التقدميـين الالمـان وبضمنهـم الشعراء والكتاب كانت تؤكـد ادخال الطبقة العاملة في اتحاد مع الفلاحين ، وضم كـل اعـداء الفاشيـة الى هـذا الاتحاد على اختـلاف ايديولوجياتهـم وتصوراتهـم من فئات المثقفـين الثوريين الواعين لطبيعة المسيرة في تلك المرحلة لبناء

قوة الدولة الجديدة ، التي ستكتسب التماسك امام الهزات العنيفة ، وسيكون باستطاعتها الصمود بوجه اكثر المشاكل تعقيدا ، وبذلك يستطيع الشعب الالماني تحقيق امانيه في الحياة ، والتي تتلخص في السلام والحرية والعيش الافضل .

لم تنجح هذه المحاولات لتكوين اتحاد للطبقة العاملة الا في الجزء الشرقي من المانيا والواقع تحت نفوذ القوة السوفياتية . ومن اجل السيطرة على القيادة السياسية ، فقد تحركت قطاعات كبيرة من الشعب الالماني فيهذا الجزء لتاييدمثل هذهالتجربة. اما في مناطق الاحتلال الغربي فقد ترك مجال ضيق لحركة التحرر للقوى المعادية للفاشية من الدمقراطيين والاشتراكيين ، وسائر الشرائح المثقفة الاخرى ، فممثلو الدول الراسمالية قد اسندوا القوى الرجعية ، فلم يجهز على مؤسسات الدولة القديمة ، تلك التي ضمت مجموعات من الفاشيين وقد انضموا الى فئات اخرى تغطية لايديولوجياتهم الوحشية ، واستطاعوا ان يتسلموا مناصب قيادية في الحزب الاشتراكي ، وبهذا الخصوص فان القادة اليمينيين من هؤلاء في قيادة الحزب الاشتراكي الالماني حاولوا خيانة مصالح الشعب الالماني بطواعية لانهم لم يتخلصوا من بقايا ايديولوجيتهم القديمة التي نشاوا عليها .

وكان الكفاح عنيفا من اجل تشييد نظام دمقراطي معاد للفاشية ، يعود عنف الكفاح الى امرين متلازمين : اولهما التربية النازية ، وما تركته من جذور في الاجيال الالمانية التي عاصرت فترة الحرب العالمية الثانية وما قبلها ، وثانيهما ازالة هذه الجذور واكتساح انقاضها ، وكانت قد احتاجت الى جهود جبارة والى اصرار في سبيل ذلك . لقد سعت القوى الدمقراطية المتحالفة لادماج احزاب العمال في جبهة موحدة ، وفي يوم اتحاد الاحزاب المقام بين ٢١ — ٢٢ ابريل من عام ١٩٤٦ اسس الحزب الالماني الاشتراكي الموحد ، فكان من اعظم المكتسبات ليس في تاريخ الحركة العمالية الالمانية فحسب ، بل في تاريخ الشعب الالماني بكل فئاته وطبقاته فقد كانت هذه نقطة البداية الحاسمة لان ممثلي العمال هم الغالبية فيهذه الجبهةالشعبية العريضة ، وقد اخذوا قدر الشعب الالماني بايديهم وحاولوا ان يرسموا بسلوكهم المسؤول النماذج الواعية للتطور الاجتماعي ، فاكدوا على المضمون البعيد لجماع الحياة الاجتماعية والسياسية ، وبدأوا يخططون مسارا للحياة الاجتماعية بصورة خاصة مبنيا على اصول ثقافية تتفق وطبيعة المرحلة وقد انجزت مكتسبات كثيرة لمصلحة مجموع الشعب من ذلك : انجاز الاصلاح الزراعي ، فالاصلاح

التربوي على اسس دمقراطية ، ثم اعلان ملكية المعامل للشعب ، ولذلك فقد سميت بالمعامل الشعبية الموحدة Volkseigene Betriebe (VEB) فكونت قطاعا مهما في الاقتصاد الاشتراكي لاول دولة للعمال والفلاحين في التاريخ الالماني .

لقد كان لتحطيم الاسس الاقتصادية والاجتماعية للامبريالية الالمانية ، ومحاربة الروح العسكرية المبنية على التعصب القومي اثر كبير جدا على سير الحياة وتكوينها فكانت بداية لتعميم قوانين جديدة في حياة الشعب الالماني متفقة مع التطور الحاصل وطبيعة المرحلة القائمة في القسم الشرقي من المانيا . وكان دور الشعراء والكتاب عميقا ، وذلك انهم عرضوا فكرة القومية الالمانية بشكل انساني مسالم نزعوا منه السمة العدائية المتطرفة وكان لهذا كله مدلوله في الاتجاه الثقافي العام ، كما ان له دوره في المحيط الادبي بصورة خاصة .

فقد اشتدت ازمة العالم الراسمالي بعد الحرب العالمية الثانية ، وبدات الدوائر المتسلطة للولايات المتحدة الامريكية وانكلترا تسعى جاهدة لان تحد من اي تطور دمقراطي يزيح مواقع الدوائر الرجعية.

ان المتتبع لما يجري في القسم الغربي من المانيا

في هذه الفترة يرى تشجيع الدول الاستعمارية لجميع التكتلات الرجعية بشكل ملموس جدا ، فالمطالبة بضم المانيا بشطريها الى اتحاد كان الغرب يسعى لاجرائه وفقا لمنظوره السياسي ، ويحاول الحفاظ على التكتلات الرجعية وذلك باخراج القوى الرجعية من رابطة الدولة الالمانية وعلى اساس انتماء تلك القوى الى الجزء الغربي من الدولة الالمانية المؤمل تكوينها ، وهذا باجمعه ينبىء عن الاتجاه العدائي الخطير في سياسة الدول العربية الاستعمارية ، وقد نجحت فصائل القوى الرجعية من مختلف الاتجاهات اليمينية ، وبضمنها بقايا الحزب النازي المندحر في السيطرة على السلطة في المانيا الغربية ، وهذا يعني اصلا ان الامبريالية الالمانية لم تكن قد وهنت بعد بصورة حاسمة ، خاصة بعد تاسيس جمهورية المانيا الديمقراطية في ١٧ اكتوبر عام ١٩٤٩ .

لقد وجدت الامبريالية الالمانية ان الطريق امام العسكرية الالمانية قد سد في الجزء الشرقي ، وان اعادة التربية قد كبحت جماح التطرف القومي ونظرة الاستعلاء والعنصرية التي اشاعتها الفاشية وان الشعب الالماني بدا يمثل نزعاته الخيرة ويتمثلها خبرات وتجارب في نتاجه الادبي ، لذا فانها اخذت

تخطط من اجل ازاحة هذه العقبة بطرق مختلفة كخلق الازمات المفتعلة او تهويل السلبيات التي لا تؤثر كثيرا في المسيرة الشعبية العامة ، وتسليط ابواق الدعاية بتلفيق الاوضاع المازومة وغير ذلك من الاساليب .

وكان لطبيعة هذه الظروف تاثيرها البين في تكوين الادب الالماني المعاصر واتجاهاته . ان سلطة هتلر الفاشية كانت قد قادت الحياة الروحية والثقافية في المانيا الى تدهور . وان تاثير ايديولوجيتها الوحشية البربرية كان فعالا في اجزاء كبيرة من المانيا ، وقد وجدت الدولة الجديدة في القسم الشرقي منها صعوبات كثيرة في اعادة التربية الروحية للشعب الالماني والتحول الدمقراطي المعادي للفاشية فاحتاجت الى بذل جهود كبيرة صادقة ومخلصة في مختلف المجالات فاستعانت بالادباء والشعراء ، واوضحت لهم ان سلوك هذا الطريق سيؤدي الى ولادة المانيا جديدة .

وقد اصبح هذا الاتجاه الضمانة الحاسمة لازدهار ثقافة شعبية ودمقراطية بازالة ما تركه الماضي ليس في المانيا فحسب ، بل في اوربا كلها ، وكان لثوريي الطبقة العاملة الاثر الحاسم في خلق

نموذج الحياة الاجتماعية بتنفيذهم الافكار الانسانية الحقيقية .

ان الاسس المتفق عليها للثقافة ولسياسة الفن اتجهت اولا الى مناوأة افكار الحرب والعسكرية بكل اشكالها ، فاعطي مفهوم جديد للجيش فهو ليس للتدمير ، وانما هو للبناء ، ولم تقف مثل هذه الاسس عند محاربة الاتجاه العسكري العدائي ، بل شخصت العلل الروحية في ثقافة المانيا المعاصرة واوجبت ان تكون للشعب الحصة الخلاقة في الثقافة الجديدة ، ثم اعلن الحزب الاشتراكي الموحد لعموم المانيا Sozialistiche Einheitspartei Deutschlands (SED) ان كل استهانة متعالية بدور الشعب لا تخدم قضية الثقافة الوطنية الجديدة وعلى اثرها صدر قرار رئيس الدولة فيلهلم بيك Wilhelm Pieck في الاجتماع الموسع ليوم الثقافة الاول للحزب الالماني الموحد عام ١٩٤٨ ، فكان مضمونا كبيرا في الكفاح ضد جميع التيارات الفاشية والاستعمارية ومن اجل تحقيق الانسان الطموح الذي كان هدف التربية الثقافية الجديدة على اسس دمقراطية . وقد اعلن ايضا ان الافادة من الانسان المبدع بكل امكانياته الخلاقة دون النظر الى منشأ انحداره ولونه وجنسه امر اكده

القرار بصيغة الا تفاضل بين انسان وانسان اخر اينما كان ، ان التاكيد على مثل هذه الافكار كان مدار التكوين الثقافي الفكري ، ولانجاز هذا الواجب القومي الانساني اجهد الحزب الالماني الموحد نفسه بكل قطاعاته وتكويناته لترصين الاتحاد مع كل المثقفين الثوريين داخل المانيا وخارجها انطلاقا من هذه الافكار ، ولرفد الثقافة الجديدة بصورة العالم الطبيعية فالجنس الالماني ليس افضل الاجناس البشرية ، والشعب الالماني مثله كمثل بقية شعوب العالم يهمه تامين خبزه وامنه ، ولذا فان الحزب الموحد كان يرى ان تجارب المثقفين الثوريين في النضال ضد الفاشية والظلم في ارجاء الدنيا وفي المانيا زمن الاضطرار الى الهجرة منها بضغط من النازية ستفتح نافذة للشعب الالماني يطل منها على العالم الفسيح وستقف هذه المحاولة مشتركة في صف واحد مع كل المدلولات النضالية التي تكون الثقافة الجديدة ، ويتعلم منها الشعب الالماني الشيء الكثير ، وكان المثقفون من كل فئات الشعب الالماني يعتبرون هذا التطلع بمثابة موقف ضد انواع البربرية والفاشية ويمثل اعلى مستويات الفكر الانساني ، الذي لم تالفه المانيا ابان تسلط الدكتاتورية عليها . وقد مهد هذا الاتجاه الطريق لتكوين ثقافة شعبية رفدتها عناصر انسانية جديدة.

كفلت الطبقة العاملة الثورية بعد تسلمها مقاليد الحكم للمثقفين والفانين التقدميين كل دعم واسناد ماديا اكان ام معنويا ، وبهذا فقد تطورت الحركة الثقافية بشكل دمقراطي انساني وبصورة موسعة وسريعة ، ولا يفوتني في هذا المجال ان اذكر الارث الادبي الكلاسيكي الذي اكتسب مهمة ثابتة في الحياة الثقافية الجديدة . فقد نظر الى الموروث الادبي على انه حصيلة تطور فكري انساني للشعب ، وقد تطلع اليه المثقفون للافادة من مختلف تجاربه التي تحمل الدفء والاصالة والروح الانسانية ، ثم ان الكتاب والشعراء من الشباب ميزوا في التراث سمات انسانية افرزتها عهود الاستقرار والطمانينة فوجدوا فيها عامل دفع للحاضر ، ذلك الحاضر الذي يستمد اشراقه ووجوده من التراث ، ولم ينظروا على انه شيء جامد ، وضع لان يعبد من بعض وجوهه وبناء على هذا الموقف فقد وجدت كنوز الادب الانساني لها انتشارا عريضا في اغلب اعمال ادباء المانيا خاصة الادب السوفيتي الذي اصبح عاملا مهما في الحياة الروحية الثقافية في المانيا الدمقراطية . ففي سنة ١٩٤٦ تم طبع ونشر قصة الام لكوركي وقد اتبع ذلك طبع ديوان شعر بمجلد واحد لماياكوفسكي ، ثم طبعت قصة « ..

والفولاذ سقيناه» لاوستروفسكي،وتتالت بعد ذلك اعمال شولوخوف وغيره من الكتاب .

لقد كانت قيمة الادب السوفياتي كبيرة ، لانه حمل بصورة اساسية مهمة ايقاظ الوعي الطبقي المنظم جزئيا عند مجموعات كبرى من الشباب ، وقد اصبح اداة ايصال للاعمال الرئيسية لمذهب الواقعية الاشتراكية ، ثم انه كان مدرسة لعلم الجمال لاجيال من الكتاب الجدد ، وظهر اثر ذلك سريعا في الانجازات الفنية للنتاج الادبي الالماني في السنوات التالية ..

★ ● ★

الشعر المرحلي الالماني بعد عام ١٩٤٥

الظاهرة التي تلفت النظر في الادب الالماني بعد عام ١٩٤٥ ـ هي ان الادب المعادي للفاشية اصبح تيارا عاما في النتاج الادبي حتى اوائل الستينات . ولم يكن تيارا مجردا من العواطف الانسانية يدور في فلك افكار محددة قد وظفت لخدمة هدم الفاشية فحسب وقد اتسم النتاج الادبي المحصور بين عامي ١٩٤٥ ـ ١٩٥٦ في الجزء الشرقي من المانيا بطوابع عدة : معاداته الفاشية اولا ، وظهور الصبغة الدمقراطية على تكوينه ثانيا ثم احتضانه للعواطف الانسانية الخيرة في كل انماطه الادبية ثالثا . ان هذه الخصائص جعلته يصبح جزءا رئيسا من الادب الاشتراكي المسيطر في الجزء الشرقي من المانيا .. واذا ما تساءل القارىء عن سر مثل هذا التكوين ، فباستطاعتنا تلمس تفسير له ..

لم تكن الاحداث التاريخية بمعزل عن التاثير في الاتجاهات الادبية . خاصة في المانيا بعد الحرب

العالمية الثانية . فالظروف التاريخية الراهنة كانت متلاحقة الاحداث ، وكانت في جوهرها صراعا بين القوتين الكبريين تظهر على شكل حرب باردة مرة ، وعلى شكل صدام سياسي مرات كثيرة . وكان الظرف السياسي يتشكل وفقا لماجريات الاحداث ، فيملي على الادباء الالتزام بهذا الاتجاه بالذات .

ان مرحلة جديدة قد استهلت في تطور الادب الاشتراكي الوطني ، فالكتاب والشعراء بدأوا يعرضون تجاربهم وخبراتهم الادبية وقد تميزت بخط سياسي واضح التزموه في كل مواقفهم ، وقد حمل هذا الوضع الاديب الالماني مسؤولية وطنية وانسانية في الوقت نفسه وتركه ملزما باعطاء اجابات محددة في اعماله الادبية تتعلق بحياة الشعب الالماني ومستقبل وجوده ، ولم تقتصر المسؤولية على الكتاب والشعراء فلقد شكل الشاعر صورة وفق هذا المنظور وبطريقة انسانية تحمل معنى الحياة الجديدة ـ حياة الطموح ـ لجماع الشعب الالماني .

لقد اصبح النتاج الثقافي عموما بمثابة منبر ادبي تطرح من خلاله مفاهيم الوطنية والقومية من وجهة نظر الاتجاه الدمقراطي . ولقد اقتضت هذه الافكار شكلا ادبيا خاصا قررها الظرف

التاريخي القائم ، وعن طريق هذا الشكل تمكن الاديب الالماني ان يقدم لشعبه اجابات فنية ، وحلولا لمختلف المشاكل التي يعانيها الفرد العادي كثيرا .

ان الموضوع الرئيس الذي غطى رقعة كبيرة من النتاج في الادب الاشتراكي كان تصفية الحساب مع الماضي الفاشستي اولا، ولذلك فان ابحاث في نتاج هذه المرحلة سيواجه مادة زخارة تتحدث عن هذه القضية دون انقطاع . وقد بانت الاعمال الادبية انذاك وكانها ادب مرحلي ، غير ان الادباء تنبهوا الى جملة حقائق لم يغفلوها عند الكتابة ، فانهم لم يتركوا مسالة معاداة الفاشية فكرة للتوظيف المستمر فحسب ، لانها في رايهم ستترك العمل الادبي اجترارا يتسكع في مسار واحد دون طائل وعليه فانهم تنبهوا الى ما يشغل الناس من شؤون تتصل بحياتهم الحاضرة كي يكتسب العمل الادبي الحرارة وروح المعاصرة وقد اهتموا باصرار برسم مستقبل التطور الوطني والانساني في المانيا .

حصر الكتاب الاشتراكيون نشاطهم بتصوير هموم الشعب اليومية مدركين مسبقا سبب التزامهم الواعي بهذا اللون من التفكير في المجال الادبي ، وكانوا يعبرون في اعمالهم عن تقديرهم الجاد بان مثل هذا النشاط الثقافي الادبي لو كان قد وقع قبل

عام ١٩٤٥ لتمكنوا من تجنيب الشعب الالماني السقوط ، وهكذا فقد اخذ فيلي بريدل Willi Bredel واوتوكوتشه Ott Gotsche ويوهانس ر . بشر Johannes R. Becher وغيرهم حصتهم في هذه المسؤولية ، وشاركهم الكثير من الشعراء والكتاب على اختلاف منازعهم .

لقد انجز يوهانس ر. بشر Johannes R.Becher فعاليات ثقافية تحمل طابعا سياسيا واهتم بشكل رئيس هو وغيره بتاسس الرابطة الثقافية Kulturbundes فاختير رئيسا لها ، ولما تاسست وزارة الثقافة عين وزيرا لها ، وبقي حتى نهاية حياته فعالا في الحياة الثقافية العامة .

ان مشاركة بشر Becher في المجال الثقافي بعد عام ١٩٤٥ كانت في الواقع نضالا ضد جميع محاولات التعتيم الرجعية ، وبصورة خاصة موقفه في مؤتمر الكتاب الالمان الاول عام ١٩٤٧ ، وفي مؤتمر الرابطة الثقافية الذي اقيم في السنة نفسهافانهايد في خطبته ومن غير انفعال وجود ثقافة جديدة تدعو الى الدمقراطية ومحبة السلام ، وكانت خطبته نوعا ادبيا يحمل اعتبارات جديدة لم تالفها المانيا من قبل ، فقد الزم الادباء في مؤتمرهم الرابع ان يتمرنوا على مثل هذه الافكار في جميع انماطهم الادبية ، وان

يمارسوا سلوك النموذج المطلوب وكان يرى انه عندما يزمع مجتمع ادبي ان ينجز ما عليه ، فيجب ان يكون متكاملا . . « عن مقالته نحن الشعب الالماني Wirvolk der Deutschen ، التي كتبها عام ١٩٤٧ » وكان قبل ذلك قد طالب الشعب الالماني في خطبته التي القاها بعد عام ١٩٤٥ ان يصفي حسابه مع الماضي بصورة قاطعة ، لانه غير مشرف ونجده قد ذهب الى ابعد من ذلك في خطبته التي القاها في اجتماع رابطة الثقافة الخامس ، والموسومة بـ «الثقافة الاشتراكية ومعناها الوطني» عام١٩٥٨ .
Die sozialistische Kultur und ihre nationale Bedeutung

فانه عكس توقعاته للمستقبل وشخص الخطوط الرئيسة لحاجة الشاعر الوطنية الى ادراك روح الانسانية الاشتراكية ، وما يجب ان يكون عليه في النتاج الادبي ، فهي ليست عاطفة منفعلة تتوهج سريعا ثم تخبو ، وانما هي فكر قابل للمناقشة ، وقد كانت هذه جزءا من مذهب يوهانس ر . بشر الشعري .

قصائد يوهانس . ر . بشر ، التي طبعت عام ١٩٤٦تحت عنوان«نقطة المراقبةالسامقة»شعر لالمانيا ١٩٣٣ ــ ١٩٤٥
Diehohe Warte-Deutschland Dichtung

كانت الانجـــاز الشعـــري الذي ميـــز وجـــه الشاعر بشـــر Becher زمن الهجـــرة بالاضافـــة الى نتاجات اخـــرى مثل « قصص شعر ١٩٤٦ » Romane in versen ، و « مختارات شعرية من زمن المطاردة ١٩٤٥ » .
Ausgewahltung aus der zeit der verbanung

ان اشعاره الجديدة تنم عن ادراك الشاعر الحزين لماساة وطنه المانيا ايضا :

حانت الـــاعة ، وانا انتظر ان امنح المزيد
في يوم صيفي وانا في طريق عودتي الى الوطن
ولو اني ساجد ارضـــاحطاما
بالتاكيد انت هي : يا بلادي الام المانيا
وجدتك ايضا ناضبة المعين وعليك صفرةالموت
حقا!انك هي بلادي المانيا الارض الاسطورية
لقد وجدتك مجهدة ومن غير طمانينة
انك هي فعلا وطني وامي

عن قصـيدة بعنوان العودة الىالوطن Heimkehr من مجموعته الشعرية الموسومة ــ مختارات شعرية من زمن المطاردة ــ عن اعماله الشعرية الكاملة ص ٢٢٨ ــ ج ٥
Johannes R. Becher, Gedichte, B. 5,S.238, Aufbau Verlag, I. Auflage, 1967.

عاش الشاعر بشر Becher تجربة الحنين الى وطنه الجميل باخلاص ، ولم يكن حنينا مجـــردا فحســب ، بل هو حنين ممزوج بتمنيات وطنية جادة انه يحن الى وطن حر لم تفسده شرور الدكتاتورية الفاشية .. انه يحلم بوطن قد حطم قيود العبودية عنه ، ولذلك فانه رسم ابعاد هذه التجربة ضمن اطار هذا المنظور وفي اشعار كثـــيرة له ، ومـــع أن قصـائده غنائية الا انها كانت تخرج عن النطاق الذاتي لتمتزج بظروف المانيا وشعبها . ففي مقاطع شعرية كثيرة ومتفرقة ندد بشر Becher بعوز شعبـــه وفاقته ، ورسـم حزنه العميق من اجل وطنه المدمر وشعبه الممزق وهو في الوقت نفســه غنى متفائلا بحب المانيا ، ومن اجل مسرتها والعودة الى احضانها ، وهذا الاتجاه في شعر بشر Becher يعكس روح المناضلين الذين يجدون كفاحهم اكبر من التشاؤم وقد تمكن الشـاعر منذ البداية ان يتخلص من اليأس والتشاؤم اللذين لا وجود لهما في قاموس النضال الوطني .. صحيح انه وجد صعوبة في اول قصائده للتخلص من هذه الوتيرة المجهدة ، ولكنه حقق في الكثير من قصائده التفاؤلوالامل والحلم بالغـــد القريب المشرق وهذا ما نلاحظه في قصيدته التي يخاطب بها الشعب الالماني :

اه ! يا شعبي المتلفع بالظلام اتحد
في عذابك اعمق المكابدة
اراك مهملا في ثياب المستجدين
اه ! يا شعبي المتلفع بالظلام
ابق نادبا

عن قصيدته «آه يا شعبي المتلفع بالظلام»من مجموعته الشعرية « الشعب المتلفع بالظلام »
Volk im Dunkel Wandelnd

الاعمال الشعرية الكاملة ليوهانس بشر
Johannes R. Becher, Gedichte 1942-1948, Aufbau Verlag, B. 5, S. 537, I. Auflage, 1967

فهو لا يختفي وراء النوح والشكوى ، ولكنه يضع المطالبة فوق كل شيء :

ايه يا المانيا حرري نفسك من اللعنة الالمانية
كي اقدر ان اباركك
ومن اجل ان تكوني مباركة

لقد وجد الانسان الالماني افكاره ومشاعره تتجسد في تعبير يوهانس . ر . بشر الشعري ، ومقاطعه الشعرية تبتعد بشكل ملموس عن التشاؤم والعدمية ، وتدلك على تفاؤل وايمان بالمستقبل .

شعر الرثاء عند بشر Becher ياخذ دورا جماليا ؛ فمن دوران الاسى والحزن في القصيدة ينمو شعور وطني انساني يبشر بحياة جديدة هو الرد الايجابي فعلا للحياة على ما يعوقها من افكار متشائمة سوداء . ولم يقف بشر Becher عند هذه المادة الشعرية فحسب فانه اخذ يمجد الاشياء والموجودات والزمن،ويعلن عن بعث شعبهمن جديد بالرغم من كل الازمات في قصيدته«اناشيد الربيع» Frühlingsmelodien بطريقة جديدة ومنظمة :

الطيور تغني ، وكانها تغني منذ الازل
لقد ذهب الشتاء
ومع ان الحطام ملقى على ناصية الشارع
وثلج الشتاء الرمادي الاخير
غير ان العالم سيكون وشيكا ارضا مزهرة
وسنحس بالحيوية ، لان الدفء يكتنفنا
وسنصمد بحرارة .

وفي نتاجه الشعري من امثال قصائده «المانيا ياشجني» Deutschland, meine Trauer المكتوبة عام ١٩٤٨ — ١٩٥١ ، ومجموعته «اناشيد شعبية المانية جديدة » Neuen Deutschen Volkslieder نجد ظاهرة تميزت بها هذه المرحلة ، وهي ان مادة

شعر التجربة الالمانية الوطنية بدا يقرا على شكل نشيد يتحدث عن موضوع واحد ماخوذ من مواقف عداء الفاشية ويتصل اكثر من كل شيء بتمجيد الوطن :

وطني ..... يا شجني
يا ارضا في سطوع الفجر
انت السماء .... ذات اللون الازرق
انت يا سعادتي
عندما كنت منفيا
كان لدي ما اثني به عليك
نشيدا اقدمه اليك
يكون عن اتحادك
ويكون مكرسا لك
ليشاركك البكاء

★ ● ★

لقد اشرقت السماء
وعاد السلام اليك
المانيا ... يا شجني
وانت يا فرحتي الكائنة .

يتخذ النمط الشعري عند بشر Becher في البدء شكلا عاما ، ويحاول ان يلقي بمعانيه الشعرية على شكل انشاد يدور في فلك الحوافز الجديدة ، التي اقتضتها ظروف التربية الجديدة . ففي صور الطبيعة المختلفة المشرقة صورة الشعب الالماني المتحرر من كابوس الفاشية ، وفي مناظر البلاد المختلفة منظر البهجة والفرحة بالبناء الجديد للوطن وفي قصائد الحب نغمة وطنية فيها انشداد للارض متين . هذا النمط نجده في جملة قصائد للشاعر يوهانس . ر . بشر. ففي الثلاثية الشعرية « ملك الشعب»١٩٤٩ Volkseigen القصيدة التي ضمت الى مجموعته الموسومة بـ«الاناشيدالشعبية الالمانية الجديدة » Neuen Deutschen Volkslieder وفي قصيدته عن فلاحة Liedder neuenrde « ونشيد الارض الجديدة » Aufeine Bäurin" نلحظ ان نغمة الحزن والرثاءقد زالت تماما من النشيد بالرغم من تراكم انقاض الخراب في كل مكان من المانيا ، وحل مكانها امتداح العمال والفلاحين الذوبين على البناء ، والثناء عليهم ، اولئك الذين طوروا الارض الجديدة من الاساس ، وفكوا قواها المبدعة لتكون شيئا اخر غير المانيا هتلر . اختار بشر Becher طريقا شائكا للتعبير عن معانيه

الشعرية ، فهو يشخص في اغلب قصائده معاني الفساد الانساني بصورة تناسب الشعر ، ويوظف من اجل ذلك انحيازه للاشتراكية ، وتضامنه العميق مع شعبه ، وعن هذا الطريق حقق بشر Becher في نتاجه الشعري تمجيدا لشعبه يمكن اعتباره انذاك خطوة جديدة ، ولكنها اليوم تشبه في تكوينها معاني شعر المناسبات ذلك الذي يدور في فلك محدد . ان نجاح بشر Becher في انارة الحقيقة الاجتماعية للانسانية شعرا يؤكد بصورة قاطعة ان الشاعر وهب فنه لخدمة قضية شعبه ففي اناشيده الشعرية الشعبية تعابير استقاها من طبيعة المرحلة الراهنة ليدلل على امتزاج الشاعر بالقضية جملة وتفصيلا ... ان مقطوعاته الشعرية قد احرزت مكانة ثابتة لدى الجماهير الالمانية ، لانها استوعبت الجديد في الحياة وصيرته حيا دافئا معبرا عن النموذج الطموح .

وقد اغنى برتولت برشت Bertolt Brecht الشعر الغنائي بنتاج ملائم للمرحلة فقد صوب مقطوعاته الى الفعاليات السياسية ينتقدها بطريقة ساخرة كونت له سمعة وذيوعا في اوساط الشعب الالماني ، وعلى اوسع مدى . لقد اغرم بريشت بالمبادىء الحرة في التاريخ الحديث،وادخلها مادة في شعره يستلهم منها صورة المجتمع الطموح للانسان

المعاصر . اسلك هذا الاتجاه برتولت بريشت في اعماله الشعرية . وعلى التحديد قبل عام ١٩٤٥ وبعده بين اكابر الشعراء الوطنيين الاشتراكيين المبدعين ، فهو الى جانب قصيدته «نشيد العمران» ١٩٤٧ كان لديه طراز من الشعر القصصي المختلط بالمادة الهجائية الحادة ، ففي قصيدته «ملامح من التضليل التاريخي» او«الحرية والدمقراطية»١٩٤٧ Der anachronische Zng oder Freihentund Democracy

مادة ساخرة يكشف بريشت عن طريقها النقاب عن طبيعة القوى الاجتماعية القديمة ، التي كانت تحتج بالحرية والدمقراطية ، وتغلف نفسها بمسوح الرهبان ، تلك القوى التي باعت نفسها للشيطان فطوحت بالمانيا مرتين في الماضي الى مصير مشؤوم ورغبت في ان تضعها طرفا في لعبة الحرب الخطرة التي لم تجن المانيا ولا الشعب الالماني منها غير الخراب والدمار والتمزق ، كما ان هذه القوى قد كشفت في الوقت نفسه عن تضليل تاريخي وبهتان وزيف في قصيدة«الحرية والدمقراطية»تبدابالمقاطع الاولى بالحديث عن الطبيعة الالمانية في الربيع ، وهي طبيعة لا ينساها الانسان الذي عايشها مرة :

اوشك الربيع على الظهور بالارض الالمانية
وقد مر بالرماد وحطام جدران المنازل
معلنا عن نفسه في اول خضرة لشجرة البتولا
(شجرة العفص)
كمينة للديدة وشجاعة

ثم يتدرج بريشت الى الصورة المدانة ، صورة المضللين :

تخطو مقدمة راسه الى امام
ويغني بكرش مليئة
هلم ايها الصبي : اللهم احفظ الملك
والدولار يرن ، يرن ، يرن
يتقدم خطوتين بعدها بقلنسوة الراهب
وهو يحمل وعاء السر المقدس مارا
فهل ترتفع بعيدا عنه قلنسوة الراهب
ليظهر وكانه قالب حذاء
حقا .... فهناك الصليب على المفرش
والذي ينقصه اليوم زوج الخطاطيف
هنا يعيش احدهم مع الزمن
والخطاطيف ملتصقة بـه

وخلف تلك الخطاطيف يخطو اب من اجل ذلك
مرسل من الاب المقدس
فايهما يهدى الروع بعمق
وكما يعلم المرء
فان هذا الاب يحملق نحو الشرق
ولا ينسى باحكام بعد ذلك
ان من اجل سكينتهم الطويلة المطروقة
وبشكل نهائي ومستقيم يصرخ عاليا بعد ليلة حرة.

لم يستقر بريشت على صورة هؤلاء مجردة بل كان يبحث دائما عن الارتباط الحقيقي لهؤلاء مع القوى السوداء العاملة على تقويض الصرح الوطني :

وعلاوة على ذلك نصراؤه المسرعون السادة الرماديون الاحتكاريين من اجل التجهيزات الصناعية الحربة والدمقراطية .

القصيدة المنقولة من المصدر التالي :
Brecht, Einlesebuch Für Unsere Zeit S. 84-85, Volksverlag, weimar, 1963

لم يتوقف بريشت عن نقد الاوضاع المدانه ، ومظاهر تلك الاوضاع في اكثر من محاولة في قصائده

الغنائية بالشكل الساخر ، بل كان يرسم تلك الاوضاع رسما شعريا مقاربا للمشهد المسرحي الكوميدي ، ويحرك شخصيته وفقا لطبيعة الظاهرة المدانة ، وهي تحمل المعنى السياسي او الاجتماعي من وجهة نظر الواقعية الاشتراكية .

من اجل هذا فقد عد بريشت من اكابر شعراء الواقعية الاشتراكية .

الى جانب يوهانس . ر . بشر Johannes R. Becher وبرتولت بريشت Bertolt Brecht كانت هنالك مجموعة تسير في الخط نفسه ، وتعبر عن طبيعة صراع الازمات القائمة بنفس مادة افكار هذين الشاعرين من هؤلاء فاينرت Weinert وفورنبرك Filrnberg وكورت بارتل Kurt Barthel .

كان كورت بارتل قد نم عن طبقته باناشيد الولاء التي غناها لها في زمن الفاشية ، وقد اعتبر من غير ادعاء «الشاعر العامل» سمي هذا الشاعر بمختصر اسمه (كوبا) بناء على مقترح من الاديب الالماني فورنبرك ، وتمييزا له عن الاديب الالماني « ماكس بارتل » .

ولد كوبا في (٨) حزيران عام ١٩١٤ في كراندسدورف التابعة لمدينة شمنتس (سمث اليوم) بمدينة كارل ماركس كابن لعامل صيانة في السكة الحديد . وكانت التجربة الحاسمة في شباب كوبا اشتراكه في نضال الطبقة العاملة ضد الفاشية. تعلم مهنة نجارة وزخرفة الفرف (الديكور) واسس في كراندسدورف منظمة شبيبة العمال الاشتراكيين . كان تاثير قيادة الجناح اليميني من الحزب الاشتراكي الدمقراطي قليلا على منظمة شبيبة العمال الاشتراكيين في منظمة العمال السكسونيين ، ولذلك فان هؤلاء العمال اتجهوا الى الجبهة المتحدة للطبقة العاملة ، وبدا كفاحهم ضد خطر الفاشية المهددة الرهيبة بصورة حاسمة. شارك كوبا كثيرا العمال العاطلين زمن الازمة الاقتصادية العالمية ، وكخاتمة لموقفه اصبح متعطلا ايضا . وعندما ادركت السلطات الدكتاتورية موقف كوبا ضايقته فهاجر الى تشيكوسلوفاكيا. حاول كوبا في فبراير عام ١٩٣٤ ان يقف الى جانب نضال الطبقة العاملة في النمسا ، الا ان محاولته تقوضت فقد القت القبض عليه الشرطة النمساوية فقرر الذهاب الى يوغوسلافيا ثم عاد من هنالك الى تشيكوسلوفاكيا . في هذا الوقت بالذات كتب كوبا عام ١٩٣٣ ــ ١٩٣٤ اول اشعاره ، فوقعت بيد محرر

مجلة العمال لويس فورنبرك ، وعندها تطورت صلاتهما الشخصية الى صداقة متينة بينهما .

عني كوبا بالشعر التشيكي ، ووثق صلته بتجربتي بريشت ومایاکوفسكي الشعريتين اللتين تنضحان حيوية وطراوة على حد تعبيره . وعندما غدر هتلر بتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨ فر كوبا عبر بولندا متجها الى انكلترا ، فاعتقل الشاعر هناك منذ اندلاع الحرب حتى سنة ١٩٤١ فاشتغل جنائنيا،ثم عامل بناء في لندن وفي المنفى الانكليزي كتب اكثر اقسام نتاجه في مجموعته الشعرية «اشعارمن الانسان» Gedichts vom Menschen .

استطاع كوبا في سبتمبر عام١٩٤٦العودة الى المانيا ، فعمل في اول امره محررا في دار نشر ديتز Dietz Verlag في برلين ، وقد انهى في هذه الفترة مجموعته الشعرية«شعر من الانسان» تراس كوبا العمل الثقافي في مدينة ماكس هوتن بعض الوقت ، فكتب شعرا غنى فيه للجديد الذي ينمو من داخل الخراب المترامي الانتشار ، ولذلك فانه اعطى دفعا متفائلا لمضمون الحياة الجديدة بشكل تعبير شعري بمثل التجربة الراهنة .

كان يغني لكل جهد صادق يبني ، يمتد من يد عامل او فلاح . وكانت اولى قصائد كوبا بعد

عودته الى بلده عام ١٩٤٥« نشيد الفلاح » Bauernlied التي غنى فيها البدايات الصعبة والتي توقعها فوجدها ماثلة فعلا امامه في واقع بلاده ؛ غير انه لم يتشاءم ولم يرضخ للحسرة ، بل وجد ان الارض لا يتغير وجهها الا بقدر عمل الانسان فيها .. العمل الدؤوب المخلص ، ولهذا تحدث :

عندما تكون الفاقة مالوفة
والعوز يحملق من خلالها
تعلم ايها الفلاح
كيف يحكم الانسان ارضه
ايها الفلاح
اسرج فرسك
مازلت دائما ماضيا
للحراثة ببقرتك العجوز
الارض ملكك بالتأكيد
والبقرة لك ايضا
ثورا يكون او حصانا
فانها ستنقلب الى محراث آلي
وبعدها ستكون انت السيد في الارض
ايها الفلاح كن سيد الارض

لقد لمس كوبا طموح ادب المانيا الوطني الجديد فتحقق في قصيدته المعنونة «ماسيقوله المرء عن ايامنا» Sagen wird man über unsere Tage التي نظمها عام ١٩٤٨ ، الاصالة والغنى الشعريين والمطاوعة على التشكل وفقا للجو الشعري ومستلزمات المرحلة الراهنة وكان يدرك مسبقا ان في الطاقة المبدعة المتواصلة للطبقة المحررة ضمانة بدء عهد جديد ، وان الجديد ستتطور براعمه في الحاضر المقبل :

ويتشوق المرء للمدينة الفتية الرابضة عند اقدامه
وانه سيقول :
حيث يوضع حجر الاساس لهذا الغرض
سيسخر من هذه المدينة وستجوع
وفعلا انهم يخططون
ويبنون ويزيلون
حطام الاحجار

ان المنافسة على الحروب تتابع في اي وقت بالتاكيد وزمن المنافسة كان قد بدا

ان هذا الاتجاه في راي كوبا لا يعوق التطور ابدا انها معوقات وقتية تزول عند وجود الاصرار في عيون الانسان . رسم كوبا نماذجه الشعرية

المميزة في المناسبات السياسية ، وقد اعلنت هذه النماذج عن بدء مرحلة جديدة من التطور للشعب الالماني ليس في مجال الشعر الغنائي فحسب ، بل في المجال الاجتماعي ايضا ، غير ان الذي يلمسه الباحث ان الطموح بقي في الواقع عاما ، مع ان كوبا قد ادخل الحلم في الصورة الشعرية بشكل جزئي جدا لكنه بالرغم من ذلك كشف عن امكانيات شعرية جديدة يمكن ان تستقى من حياة الطبقة العاملة بحيث اصبحت هذه الامكانيات نماذج شعرية حية واعية في تاريخ ادب المانيا الوطني .

ان معاني كوبا الوطنية ذات المدلولات العميقة تستكن في اشعاره الاولى بعد سنة ١٩٤٥ ، ففي قصائده المتوالية : الخطة Der plan والاساس Fundament ومشغل هوتن Hüttenwerk والصحو من الغفوة Aus dem Schlaf erwacht السابع ، وضع من اكتوبر ١٩٤٩ Dem 7 Oktober 1949 الحجر الاساس لمعمل براندنبورك للصلب Grundstein legung Stahlwerk Brandenburg تعبير عميق عن المشاعر الوطنية المليئة بالحماس والحيوية ، التي تصدر عن مواطن مرتبط بارض بلاده ، يمجد كل عمل مخلص من اجل اعادة بنائها وازدهارها .

ان مجموعة كوبا « شعر من الانسان »
Gedichtsvom Menschen
ستظل العمل الشعري البارز والمساهمة الحقيقية في الادب الاشتراكي الوطني الالماني ، كما انها تشكل دفعا جديدا في الشعر الالماني باتجاه الواقعية الاشتراكية .

ان شعر كوبا بمجموعه يمثل تجديدا في الشكل مع انه منظوم بالطريقة التقليدية الحديثة للشعر ، وشعره في سبعة اقسام دورية مجلدة اضافة الى مقدمة وخاتمة ، وهو في الحقيقة انشاد كبير لا ينقطع عن النمو والتقدم ، والانسان موضوعه ومدار حركته .

صحيح ان بطل قصائد كوبا المانيا باسرها ، بظروفها الصعبة المعقدة ، بطبيعة تكون انسانها بخلفيتها التاريخية ، بتضاريسها الجغرافية الخاصة بها ، ولكنها تمثل جميع الانسانية في بعض الظروف المتشابهة في الحاضر والماضي او المستقبل ، وتمثل الى جانب ذلك كله جميع النزعات الخيرة البناءة وهذا كله نواة الشعر الغنائي عند كوبا ومعاصريه :

ايه ايتها الانسانية ... اعيني
اذ سيبقى سيدك صامتا
افصحي

فحول المانيا يدور الغول العجوز
ويتنفس العالم
انفاسا واهنة
انظر الى هذا الشعب
مازال يتنفس ويطاعن
من اجل وجوده
بالمرافق المدببة
انظر الى هذا الشعب
كيف يزيل عنه الطلاء
ويجرد المجد والفخار
ويطهر الوطن من الحثالة
ويكافح بحقد دفين
من اجل ان يحتل له مكانا
في عربة قطار الشارع المزدحمة
هو الشعب نفسه
هو نفسه قبالة وارشو
وهو نفسه قبالة باريس
انه هو ... هو الشعب
بدون حمالة سلاح

هنا يقف البطل منذ السنة الاربعين
اغبر ورقيقا
ايه .. ايتها الانسانية .. اعيني
انظري الى هذا الشعب وفكري
انه السجل
وهو الريشة المقتدرة على ملء السجل

يعلن كوبا في هذه القصيدة وفي قصائد اخرى عن تمجيده لشعبه ، ولكنه يدخل في الوقت ذاته الظروف المحيطة ببلده ، وواقع الاوضاع القائمة ولذلك فهو يرفع صوته الغاضب الممثل لصوت الجماهير الحاقدة على مخربي بلدها ، وهو لا يستمر في كل نتاجه مائلا عند الدعوى والاتهام بل يجهز صوره الشعرية بادراك وتمرس بطبيعة الطبقة العاملة الثورية وقياسا على تجربته كعامل فانه يستلهمها صورا انسانية تنبث في قصائده فتبعث فيها الدفء والحيوية . يهاجم كوبا الواقعية المشوهة تلك التي تغط بتفاهات لا تصور الوجود الانساني العظيم ، بل تصور الانسان وسط دوامة ساحقة من القوى الخفية المرعبة ، وعليه فانه يشخص هذا التيار على انه من صنع الامبرياليين ، ويستعيد في الوقت ذاته للانسان الصورة الفعالة المبدعة ، وهو يرى ان الانسان قادر على تخطيط

مصيره يعرف من اين يبدأ ؟ والى اين ينتهي ؟ وعن هذا الطريق كشف كوبا في اكثر نتاجه الشعري مصدر وانتهاء التطور الانساني :

جئت من البعيد
اعطني نفسي
لاعطيك نفسك
انه صعب لان تنمو

هل يستطيع الانسان ان يدعو مصيره بالاسم فقط ؟ وهل يستطيع هو ان يرسم مستقبل الانسانية ؟ من هذين التساؤلين ينطلق شعر كوبا ويكمن الفحوى الوطني لادبه الاشتراكي فيه .

يعطي شعر كوبا على التحديد مادة مليئة بالاجوبة عن هذين التساؤلين وعن الاسئلة الاخرى التي نشأت بفعل ظروف ما بعد الحرب في المانيا اي ما بعد عام ١٩٤٥ ، وقد اصبحت اجوبته عاملا مؤثرا في تربية جيل الماني جديد يرسم صورة انسانية لمستقبل الشعب الالماني . لقد كان فن كوبا الشعري مسرحا لكل الشعب عنه يتحدث ، وفي صورته يجد صورة الانسانية :

لاني ووجداني مع
وميض البرق الازرق مدعو لنمو الانسانية

لتنمو الحياة من حولي
تأمل جيدا
الحدائق التي سأبينها
انها الخبر عن هذا النضال الاخير

عن قصيدته «سيد الارض» Der Herr dererde

عرف كوبا للجمهور ككاتب سيناريو ايضا ، فانه كتب حوار فلمين ، الساحرات Hexen عام ١٩٥٤ وحوار فلم آخر عام ١٩٥٧ ، ثم كتب سيناريو الجزئين الكبيرين لفيلم «صانع الاقفال وكاتن» Schlosser Und Katen عام ١٩٥٧ الذي تحدث فيه عن تحرير الفلاحين في المانيا الدمقراطية .

ظل كوبا قريبا على الدوام من شعبه مرتبطا على الاخص بالطبقة العاملة وضع في سنتي ١٩٥٨ — ١٩٥٩ منهاجا ثقافيا لاسبوع بحر البلطيق.

استطاع من خلال هذا المنهج ان يبلغ ذروة الحياة الثقافية في جمهورية المانيا الدمقراطية ، فقد عرض ملحمته المأساوية «كلاوس شتورته بيكر» Klaus Stortebeker في احتفالات جزيرة روكن Rügen وقد نشرت في كتاب عام ١٩٦٠ .

ان نتاج كوبا الشعري يمثل نشاطه السياسي والثقافي معا .

وقد لفتت قصائد شاعر شاب آخر الانظار بقوة في المانيا بعد عام ١٩٤٥ ، ذلك هو ستيفان هرملين(١) Stephan Hermlin .

الذي ولد عام ١٩١٥ في مدينة شمنتس (تسمى الان مدينة كارل ماركس) ، وقد كافح في شبابه بعنف ضد الفاشية ، فاكتسب شعره بعد سنة ١٩٤٥ تماسكا وقوة ايضاح ، ففي قصيدته «الثناعشرة مقطوعة من شعر البادمن المدن الكبيرة» Zölf Balladen Von den grossen Städten تعبير واضح المعالم مما يحسه الانسان الالماني ازاء ما هو ماثل في واقعه من صور الحياة المختلفة . كتب هرملين هذه القصيدة قبل سنة ١٩٤٥ عندما كان عضوا في المقاومة الفرنسية ضد الفاشية ، وكانت الدائرة التي يدور حول محورها تاكيد نضال الشعر الواقعي بكل انماطه ، ولو ان هرملين لم يحقق ذروة في الابداع الواقعي في مجلده القصصي «زمن التبادلية» Diezeit der Gesamtkeit الا انه استطاع بمهارة وحذق ان يعرض واقعا عاشته بلاده ، ومارسه شعبه . لقد استطاع هرملين ان يتغلب على ما هو مجرد ، وعلى السمات الصعبة ،

وان يتحاشاهمافي قصيدته«الشاهدة لجندي‌الماني» Epitaph für einen deutschen Soldaten و«رمادمن بركناو»Die Asche vom Birknau عام ١٩٤٩ ، اما بقية اشعاره فانها تضم السمات التجريدية الشديدة الوضوح الا انه تخطى هذه السلبية فوجد طريقه الى تعبير واضح ضد الفاشية مع انجاز مطلب المعاصرة في قصيدتيه الاخريين .

تسلم ستيفان هرملين عام ١٩٥٠ ، وعام ١٩٥٤ الجائزة الوطنية لاعماله الادبية .

* * * * *

الى جانب جيل هؤلاء الشعراء الذين عرفوا قبل عام ١٩٤٥ من خلال اعمالهم المكتوبة دخل جيل من الشعراء الشباب الى الحيز الشعري فوضعوا انتاجهم امام الراي العام الالماني وهم على التوالي آرمين موللر Armin Müller ١٩٢٨ بعمله الادبي «اهلاباخي‌من كركاو» Hallo, Brüder aus Krakau و«باول فين» ١٩٢٢ ، و«والترشترانكا» Walter Stranka ١٩٢٠.

الرواية والقصة القصيرة الملتزمتان

العمل القصصي البارز في هذه الفترة قصة آنازيكرس Anna Seghers «الاموات يبقون‌شبابا» ١٩٤٩ Die Toten bleiben Jung وقد كتبتها بين سنتي ١٩٤٥ ، ١٩٤٨ بعد روايتها « التقاطع السابع» Dassiebte Kreuz وقصة فيلي بريدل Willi Bredel « الآباء » Die Väter .

ان قصة انازيكرس «الاموات يبقون شبابا» وثيقة ادبية تجلو فصلا مظلما من حياة وطنها المانيا ونضالها ضد الفاشية ، وتدخل في حسابها اعداء شعبها والانسانية المميتين من الفاشست وعلى هذا الاساس فهي‌لاتتسامح‌البتة معهم،بالرغم‌من‌انهاتشير الى طوى ماساة الشعب الالماني ، وتحذر بعنف من امكانية وجود هذا النوع من المتوحشين‌الدكتاتوريين في المجتمع البشري . اولئك الذين يتصيدون الفرصة للبطش بالانسان لاشباع مرض التعصب

المزمن في نفوسهم .. انها لا تدين الفاشية ببساطة فحسب بل تعرض فهما علميا للبواعث والخلفية لكشف نزعة القمع المتوحشة التي تميز بها الفاشست ومن خلال ذلك فانها تكشف عن كره البشرية لكل المجتمع الامبريالي الذي يجمع هذه الاصناف المتوحشة لتكون مصدر تهديد لقوى التقدم المناضلة من اجل سيادة الطمانينة والامن في العالم . تنطلق الكاتبة في قصتها بان تسوق احداثا تعكس القوتين المركزيتين المؤثرتين في المجتمع الالماني ، وطريقة بناء كل قوة منهما استراتيجيتها الاجتماعية : اروين شاب تقدمي ناضل من اجل حرية شعبه ، فاغتيل من بعض مجموعات الضباط البروسيين ، وقد شارك في اغتياله ضابط من منطقة كليم Klemm وهو سليل اسرة برجوازية اقترن بفتاة ينتمي ابوها كاستريسو الى جماعة اصحاب المصانع الذين جاءوا بالفاشية الى الحكم من اجل تحقيق خطط لقهر الطبقة العاملة او سحقها ثم الضغط على الشعب لتمرير كل المخططات التآمرية التي تخدم تلك الطبقة ويدخل ضمن هذه الجوقة القذرة فون فنزلوف سليل احدى الاسر البروسية العسكرية القديمة. لم تكتف المؤلفة بان تقف عند هذه النماذج الممثلة للدوائر الاستعمارية بل تخطتها الى مستلزمات اخرى لحماية مصالح هذه الطبقة التي تستعين بها

فهنالك نموذج «ارنست فون لفن» من بافاريا العليا ممثل اصيل لعصابة الجلادين الفاشيين . كان يزاول بربريته باعمال لا اخلاقية مع ضحاياه من المتهمين سياسيا ؛ فهو نموذج مريض شارك باغتيال اروين عن طواعية وباندفاع يضاف الى كل هذا التركيب بيكر سائق الضابط كلم ومساعده نادلر الفلاح المعدم .

تحرك الكاتبة هذه القوة التي تمثل الشر وتضع في مقابلها قوة اخرى هي بمثابة مفتاح الامان في المجتمع الالماني قبل الحرب العالمية وبعدها . من اصدقاء اروين ، مارتين شاب متفائل ينظر الى الحياة على انها حلم جميل تحيطه الطمأنينة ويلفعه السلام ثم ماريا خطيبة اروين ، وهي تنتظر منه وليدا جديدا . ترمز به الكاتبة الى الغد المشرق بعد النضال الطويل المرهق ، ثم كوجشكا عامل من الاشتراكيين الدمقراطيين وهكذا ففي القصة ممثلون مختلفون للطبقة العاملة في مواقعهم واتجاهاتهم .

ان الحدث الرئيس في القصة هو الصراع الحاد بين هاتين القوتين ومن خلال تخطيط فني يتم بلمسات سريعة نفهم ان الكاتبة تمكنت من ان تحقق معنى النضال الوطني لماذا ؟ والى اين يجب ان ينتهي ؟ ليس في قصتها هذه ، بل في اكثر نتاجها ،

غير انها لم تسلم من ان توقع شخصياتها في تعميمات واقعية ، دفعتها لان تضع في صورة الشخصيات المختلفة للفئات والطبقات الاجتماعية المنفردة التكرار والتشابه ، وقد واجهها خطر عن هذا الطريق هو خطر تركيب الشخصية القصصية النمطي ، وهي لم تستطع تخطي هذا العيب في اغلب رواياتها وقصصها ثم ان الكاتبة لم تنقذ الشخصية القصصية من الحكم الفردي . رغم انها وفقت الى حد كبير في بناء الشخصية النموذجية بان ربطت بينها وبين واقع الاحداث الحادة ربطا جدليا حقق لها الانسجام المطلوب الى حد ما في اكثر نتاجها ، وهذا يعني أن الكاتبة كانت تميز الشخصية في الغالب بطابع فريد الحدوث . ان وجود الشخصيات المختلفة السلوك في الاساس مثل كاستريوس وليفن وكلم وفنزلو تشعرنا في الحقيقة انها شخصيات الفت نزوعاتها الشاذة ووحشيتها ، وان هذه النماذج طورت قدراتها ومهاراتها لتعبر بحذق عن تلك البربرية التي يرفضها السلوك الانساني السوي مع ان دوافعها الاجتماعية اذا اخذناها كنماذج منفردة كانت تاخذ طابع النوازع الفردية الانانية التي تقود الى القهر الاجتماعي ليس غير . ومن خلال هؤلاء تظهر الكاتبة طبيعة اعداء الشعب الذين لا يمكن ان يختفوا تحت اي شعار ، ثم انها

استوعبت في شخصية كاستريوس دقة التشعبات السايكولوجية ، وكشفت النقاب عما في طبيعة هؤلاء من اتجاهات لا انسانية ينميها النظام القائم مستغلة ادراكا وفهما خاصا لطبيعة الطبقة المستغلة . وهنا يظهر الاختلاف النوعي لكثير من الاعمال القصصية الانتقادية ذات الصبغة الاجتماعية والتكوين البرجوازي ، لان تلك الاعمال لا تكشف عن واقع المجتمع الامبريالي ، وانما تعرض الصورة كحالة منفردة ولهذا السبب فان جهد المؤلفة بالرغم من انه كبير جدا ، ولكنه متاثر بهذه السلبيات الى حد ما . كشفت المؤلفة عن عناصر الشر في شخصيات الفن، وفيلهلم، ونادلر، لغرض واضح وصريح مبينة ان فيهم ميولا وحشية لاتبدا ببساطة، وهي في حقيقة امرها من نتاج المجتمع الامبريالي الذي صنع منهم حيوانات عجماوات .

اما مجموعة الاحداث الوطنية ، وهي مركز دائرة القصة فقد وسعتها آنا زيكرس في معظم رواياتها وقصصها ، فشملت رقعة فسيحة من اعمالها ، فبلورت نماذج ممثلي طبقة العمال الثوريين في صورة الانسان الاشتراكي الجديد، صحيح انها تعرض نماذج منفردة ، ولكنها لا تعرضها على شكل لدينة انسانية رخوة ، تتفتت عند المصاعب ، وتتواكل

امام النضال الدؤوب وتستسلم للمصير المرسوم لهـا .

وهي ترينا في الوقت ذاته من خلال هذه النماذج العلاقات الانسانية الصافية للعمال الثوريين ان قصص انازيكرس الاجتماعية تعطي صورة غير مزوقة للظروف القائمة ، والوظيفة الفنية الرئيسة ـ باعتقادها ـ تستدعي منها حلا للمشاكل المعقدة المركبة ، ولا تقتصر هذه المهمة على نطاق عمل فني يدور حول مجموعة بطولات مركزية وسط احداث محلية عندما تقارن هذا الاتجاه عند انازيكرس بروايتين المانيتين غربيتين لكاتبين يصوران الاحداث نفسها وباخذان الماضي كمادة مركزية تدور حوله الروايتان فاننا سنقع على الفارق . هذان الكاتبان هما هرمان كاساك ١٨٩٦ـ١٩٦٦ (٩) Hermann Kasack صاحب رواية هرمان « المدينة تحت التيار » Die Stadthinterdem Strom

واليزابيث لانك كيسر (١٠) (١٨٩٩ ـ ١٩٥٠) Elisabethlanggasser صاحبة رواية « الختم الثابت » Dasvnausloschlich Siegel

في هاتين الروايتين نجد العلاقات الانسانية الرخوة ، وارتباطات الناس الاجتماعية المتفككة ، تتحكم بها النفعة الذاتية والغريزة . ولا نحس

بالرفض والاصرار الانسانيين اللذين نجدهما في نمط القصة التاريخية ، صحيح ان قصة « المدينة تحت التيار » لهرمان كاساك اثارت دهشة عالمية عندما طبعها عام ١٩٤٧ ، فعمل منها اوبرا عام ١٩٥٥ ؛ ولكنها تبقى مثالا مشهورا للنقد البرجوازي ، فقد اثني عليها كعمل شعري سريالي . وهذا العمل قد اتحدت فيه صورة الواقع المقفل مع الخيال ، وجاء على شكل يوميات حلم قاتم الملامح للدكتور لندهوف عن الحياة والموت ، فهي في هذه الحالة رمزا لانعدام الحياة حتى عندما تتناول تنظيمات اجهزة الدولة .. ان رواية كاساك بمجموعها كسبت حماسا انسانيا نظرا لان مؤلفها اتهم السلطة النازية واتجاه الحرب بصورة حادة جدا ، جعلت سلسلة من الاجيال المتلاحقة لفترة ما بعد الحرب يتمنون ان تبقى الارض جميلة دائما ، وان لا يتعرض لها باعثو الجيف .. لنبقى نحن ـ البشر ـ عليها ومن شابهنا جاحدين كالجيف .. حقا ان التزام كاساك بمعرفته لفلسفة شرقي اسيا القاضية: ان افكار سلوك الناس ومعها روابطهم الانسانية لا تتحدد بنغمة القوة ، وهذا ما تعرب عنه الافكار المثالية الرئيسة في اليوميات بالرغم مما يقابلنا به المؤلف من مفردات الانتقادات ، فان الكاتب يبقى نائيا عن المعارف المسببة والمشكلة للظواهر الاجتماعية ، وللروابط الانسانية . نفس

هذه النبرة من النقد تترددفي اعمال كاساك الاخرى.
وقد فات كاساك ان ما يصلح لمجتمع من افكار قد لا يصلح لمجتمع اخر نظرا لاختلاف التكوين والظروف فبناء روابط انسانية لا تتحدد بالعنف مع سلطة فاشستية دكتاتورية امر غير وارد البتة ، لان طبيعة النضال ضد الوحشية والبربرية لا ينجح الا بالقوة لازالة هذا التيار اللاانساني عن موقعه ، وعليه فان كاساك لم يتحدد بذلك .. بقيت رواية « الختم الثابت » لاليزابيث لانك كيسر فانها هي الاخرى قد سلكت طريقا اخر في ادب النقد البرجوازي ، ويعد عملها هذا من ابرزروايات فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية فقد كتبها عام ١٩٤٦ فكانت عملا رئيسا لها ، ويحدده النقاد الالمان على انه من نماذج الواقعية السحرية ، وخلاصة مضمونها الصراع بين الله والشيطان ، تعرضه على انه تمجيد كاثوليكي لانسان يطلب الصفح عن ذنوبه. ان هذا الاتجاه الهش لم تغنه البتة حدة الشعر في الامثولة ، ولا شدة الصور اللغوية الآسرة ، لان الهدف الذي لم تابه له المؤلفة لم يستطع ان يكون مركزا لروايتها ، ولا قرب مضمونها من الحقيقة المرئية للجميع ، ومع ان المؤلفة لم يتغير اتجاهها في معظم انتاجها، فقدظهرت على شكل كاثوليكية تستجدي الصفح والغفران عن المسيئين والمذنبين . ان هذا

الموقف لم تتخلص منه الكاتبة ففي مجموعة قصصها القصيرة والتي بعنوان «العمل الناقص» Der Torso ظهرت كذلك ايضا . لقد ربط هذا الاتجاه الكاتبة بالتيار الذي عم المانيا وسماه معظم النقاد بالواقعية السحرية Magischer Realismus لانه تيار حاول ان يضلل جميع الايديولوجيات الواضحة ، والتي شخصت الداء وعينت له الدواء ، كي تستقر المانيا على ارض ثابتة ، وتعود الحياة الانسانية الطبيعية الى الشعب الالماني . لقد كان الامر مختلفا في القسم الشرقي من المانيا فان عموم الرؤية في روايات ادباء المانيا الشرقية وقصصهم ، ومن جملتهم انازيكرس ، تشير الى مستقبل اشتراكي للشعب الالماني برمته .

وضع فيلي بريدل Willi Bredel ثلاثيته القصصية بعنوان «اقارب ومعارف» Verwanteund Bekante ففي عام ١٩٤٩ طبع الجزء الثاني منها «الابناء» Die Söhne وقد عرضها بمحتوى جديد مرة ثانية عام ١٩٥٢ .

تناولت ملابسات قصة هذا الجزء اندلاع الحرب العالمية الاولى ، وما اعقبها من اوضاع حتى سنة ١٩٢٤ ، وقد ضمت خليفتها حوادث تاريخية

الجزء الثالث الموسوم بـ«الاحفاد» Die Enkel عن ان يحتفظ بالجو التاريخي وانما عرج بريدل في هذا الجزء على الترجمة الذاتية في المقدمة ، ومن خلال المصادفات للحوادث الشخصية اصبح من العسير على امكانيات الكاتب ايصال الملابسات الشخصية تلك بالوقائع التاريخية . بعض هذه السلبيات حاول الكاتب تحاشيها في الطبعة الثانية ، غير ان القصة لم تسلم من التجارب الشخصية والنظرة الشخصية للحادثة ذاتها . فالقارىء يعيش في الجزء الثالث من ثلاثية فيلي بريدل Willi Bredel تمرد اهل هامبورك ، مع نماذج غير مباشرة ، ولكنها مشتركة فعلا بالاحداث ، فمن الابناء ذوي الرؤوس القديمة العنيدة نجد فريتز Fritz برتبط بالطبقة الثورية العاملة ويصبح مناضلا في احد تكويناتها ، اما الابناء الاخرون فانهم لم يستطيعوا مقاومة السياسة الخيانية لقادة الجناح اليميني في الحزب الاشتراكي الالماني ، ومن ضمن هؤلاء شخصية لويس شونها وزن ، انها شخصية مازومة جدا ، نعرف ذلك عنها من خلال سلوكها ، فهي تتبارى في خيانة الطبقة العاملة وبصورة مكشوفة جدا تسلم النقابات لخدمة الاحتكار الامبريالي ، وتصبح نصيرة للفاشية علنا . . في هذه الثلاثية يعايش القارىء اسرة تكون

شخصياتها جزءا مهما من التطور التاريخي لالمانيا ، فالابن فالتر ينجر وحده تطور حركة العمال الشباب في تلك السنوات ومن الواضح ان هذا الشاب يبحث عن اصوله العمالية ، ويحاول ان يبتعد عن التيارات البرجوازية التي تضاعف من ارثه الطبقي فكانه يبحث عن الجديد في ريش الطيور المهاجرة الملون . ومن خلال حركة التاريخ يظهر اثر النضال البعيد في تماسك حوادث قصص هذا الجيل من الكتاب الالمان . لقد رسم فيلي بريدل المراة العاملة وبتناسب دقيق جدا ، فشخصية فريدة برنتن Frieda Brenten التي ورثت قوة اصرار امها باولينا Paulina قد دعمت الطبقة العاملة في احلك الساعات . واخيرا وفي زحمة الاحداث لم يجد كارل برنتن Carl Brenten مخرجا واضحا ، فعند اندلاع الحرب تبنى موقف النقابة علنا ، وهو موقف ضد الحرب ، ولم يستطع بالرغم من ذلك كله ان يؤمن وجهة نظر عميقة في الارتباطات الاجتماعية كي يستطيع فهم مجتمعه على ضوئها . في عام ١٩٤٩ ظهر كتاب فيلي بريدل الموسوم بـ « القرية الصامتة وقصص اخرى » Das schweigende Dorf und andere Erzählung

اتخذت هذه المجموعة اسم القصة الاولى عنوانا لها ، وقد دارت احداث هذه المجموعة القصصية في السنوات الاولى بعد عام ١٩٤٥ في قرية دولهاكن Dolhagen البعيدة في مقاطعة مكلنبورك . وظل الماضي ومازال جاثما على جو هذه القرية ، وتدوجد فيها قبر جماعي لضحايا الفاشية . الكل يعلم امر ذلك القبر الجماعي ، ولكن احدا لم يجرؤ ان يخبر عن ذلك . فالخوف وضعف الثقة الثبطا همم اهل القرية . وقد كاد طول الصمت ان ينسي الناس المجرمين ، وبسبب ذلك فقد اتيحت الامكانية لان تبقى القوى الرجعية زمنا طويلا محافظةعلى هيمنتها على القرية . ان قصة « القرية الصامتة » هي واحدة من القصص التي وقعت فعلا بعد الحرب العالمية الثانية ، وهي شهادة ادبية اعطت درسا للشعب ، وجعلت فاعليته اشد ضد قوى الشر من الفاشيين الالمان .

واعاد فيلي بريدل كتابة مادة هذا الموضوع ثانيةفي قصته المسماة«موضوع جديد» Ein neues Kapitel ، وعندما سئل عن السر اجاب : من اجل استرجاع علاقات دمقراطية ، وتاكيد صورة طبيعية للحياة الجديدة في المانيا .

وسجل ستيفان هرملين Stephan Hermlin

كثيرا من مناضلي المقاومة اعداء الفاشية ــ من مختلف الشعوب في قصته « زمن التبادلية » Die Zeit der Gemeinsamkeit ١٩٤٩،وفي كتابه«الطابورالاول» Die erste Reihe اقام لهم في نتاجه نصبا ادبيا محترما .

ان نثر هرملين يشبه شعره ، ويحس القارىء بانفعاله النضالي الشديد من اجل الاشتراكية الانسانية ، وتاكيده حقد الجماهير ضد الفاشية والاستعمار . انه يرى في هذين الكابوسين الفاشية والاستعمار لا انسانية يجب ان تحارب ، فالفاشية تعصب قومي ذميم ، تعادي القوميات الاخرى التي تضاهيها ، وقد تتفوق عليها في بعض نواحي تاريخها .

ان كتاب هرملين الموسوم بـ «زمن التبادلية» Die Zeit der Gemeinsamkeit يحوي اربع قصص تنتمي الى الاعمال المرموقة في ادب مقاومة الفاشية . فالكل يشتركون سوية في قصص هرملين وفي حدث مركزي واحد .. انهم يضيئون التساؤل الانساني العميق للنضال التحرري ضد كل اشكال التعسف والظلم والبربرية .

ان عنوان كل قصة لهرملين في مجلده القصصي هذا يعطي انطباعا مقنعا عن النموذج الواقعي ، فهو

يتحدث عن المقاومة البطلة في وارشو ضد عصابة الفاشست ، ويعطينا صورة صادقة بكل جزئيات تفاصيلها للكفاح البطولي المليء بالتضحية والاخلاص من اجل الانسانية وازالة كل انواع البربرية والوحشية عن وجه كرتنا الارضية ، وقد صورت قصة هرملين « زمن الوحدة » Die Zeit der Einsamkeit المناضلين كمفردات نماذج ذابت في جهة قضية واحدة فاصبحوا سلاحا ضد كل ما هو لا انساني يتعامل به الفاشست ، وهكذا فاننا نعيش في قصته هذه حياة القوى المتنامية الرافضة لكل جبر والزام ودكتاتورية تلك القوى الواعية مسؤولياتها التاريخية ازاء الوطن والامة والانسانية.

من الاعمال التي صورت مصير الانسان الالماني بعد عام ١٩٤٥ قصة كتبها اوتوكوتشه[١٢] (١٩٠٤) Otto Gotsche بعنوان « اخاديد عميقة » رواية عن قرية المانية Tiefe Furchen. Romandes deutschen Dorfes عام ١٩٤٩ ، ثم اتبعها عام ١٩٥٥ برواية اخرى بعنوان «بين الليل والصبح» Zwichen Nacht und morgen عرضت من خلالها كفاح الثوار من العمال في نضالهم السري ضد الدكتاتورية الفاشية . لقد وجد التحول الديمقراطي المعادي للفاشية طريقه الى التشكيل الادبي عند اوتوكوتشه ففي عمله

الفني الناضج وهو رواية بعنوان «الراية من كريفوى روج» Die fahne von kriwvojrog المنشورة عام ١٩٥٩ حاول اوتوكوتشه ان يعكس صورة للنضال المسؤول عن الكفاح الوطني ، ولذلك فانه تسلم جائزة وطنية من اجل اسهامه في بناء الادب الواقعي الاشتراكي وتقريره لمفهوم النضال الوطني من اجل سعادة الشعب .

كان اوتوكوتشه مسؤولا عن تطبيق الاصلاح الزراعي في مقاطعة هالة ــ مرزيبورك بين عامي ١٩٤٥ ــ ١٩٤٦ ، فاستطاع من خلال ذلك ان ينقل جزءا اكبر من تجربته وان يحقق تكوينا فنيا يلفت النظر في روايته «اخاديد عميقة» Tiefe Furchen فانه تناول تصفية الحساب مع الفاشية وتحليل ما تركته من اثار عميقة ، ومحاولة ازالة تلك الاثار على يد النماذج الثورية في القرية . ان النضال من اجل قيادة الاصلاح الزراعي في منطقة تقع في وسط المانيا كانت الخلفية الرئيسة التي بنيت عليها احداث الرواية . ثم يعطي الكاتب في مقدمة تاريخية قصيرة لمحة عن وضع القرية منذ بداية هذا القرن حتى ضرب الفاشست لها ، بعدها يبدأ عرض صورة للصراع بين مختلف القوى الاجتماعية في الريف بين ملاك الارض اصحاب الملكيات الكبيرة ، والفلاحين

اصحاب الملكيات الصغيرة والعمال الزراعيين الذين يسكنون القرية .

يعرض اوتوكوتشه كفاح شخصيات قصته كل حسب استيعابه لمعنى النضال الوطني . فشخصية لوسنر Lossner وهو بناء يجنح الى طريق عسير للكفاح ضد الفاشية ، فانه قد حرر عام ١٩٤٥ من معسكر الاعتقال النازي ، فعاد الى قريته ، فعينه الامريكان مسؤولا اداريا في القرية ، عندما كانت القرية جزءا من منطقة نفوذ الاحتلال الامريكي ، وعندما انسحب الجيش السوفياتي منها ظن لوسنر انه بدء الطريق الى التحول الدمقراطي .

غير ان توقعه لم يحدث ولم يتحقق امله، فقد بدا الكفاح بين مختلف الطبقات الاجتماعية في القرية ، كل يريد تحقيق امنيته وعلى طريقته ، وهنا دبت الفوضى ، وهذا الجزء يكون في الوقت نفسه الجزء الرئيس من احداث القصة . فقد نصب ملاكو الارض الكبار انفسهم لبث الدمقراطية المنتظرة وصيانتها في القرية عن طريق التجسس واثارة الاحقاد ، وبدا الارتياب يدب حتى بين عمال الارض من المزارعين سكان القرية ، وفي الختام يدعم بالستر Balster الاسكاف القروي وعضو حزب العمال

الموحد الحياة الجديدة ، فيؤدي دورا رئيسا في ان تدخل اصول الحياة الجديدة الى القرية المرتبطة بعناصر اعادة التربية ، والمبنية على اسس المفاهيم الاشتراكية .

لقد ذهب اوتوكوتشه في قصته بعيدا بموضوعها ، وبادراك خاص للعلاقات الانسانية الجديدة ، ولطبيعة موقف الصراع الطبقي فانه لم يقدم عملا رائدا في عرض علاقات الحياة الجديدة في القرية ، وكل الذي قدمه عرض للمرحلة الجديدة تتوافر فيها الدعاية العريضة ، وتتضمن نضال العمال والفلاحين لايجاد حل للتناقضات في المفهوم الوطني ، وهو بهذا العمل يعرض صفحات معينة من نضال التحرير الوطني الاشتراكي للارض وللفلاح ليس غير ، وعلى غير المستوى الفني المطلوب والمتوقع منه فعمله القصصي هذا اشبه الى حد كبير جدا بقصة فيلي بريدل«القريةالصامتة»التي عرض من خلالها صفا من الشخصيات المفردة المرسومة بدقة ولكنها لم تخل من سلبيات فنية كثيرة ، فقد صور النضال على انه تاريخ فردي للانسان فحسب وليس هو نضال الجماعة ككل تتكاتف فيه جهود مخلصة كبيرة من اجل الوطن والامة .

لقد اخترق الكاتب اوتوكوتشه النموذج الفني

في نتاجه بان ادمجه بملابسات القصة دمجا عضويا فضاعت معالم كثيرة منه .

لقد كانت مثل هذه الاعمال تمثل البداية في ادب القصة الوطني الاشتراكي في المانيا ولم تكن بداية ناضجة تماما ، ولكنها كانت خطوة للتالين على هذه الطريق ، وستكون المخاطر التي احدقت بالرعيل الثاني من كتاب الرواية والقصة في المانيا اخف ، ولهذا فان اتمام المسيرة سيكون اسهل .

★ ● ★

الاتجاه الدمقراطي البرجوازي في الرواية والقصة

عاش برنهارد كيلرمان(١٣) Bermhard Kellermann(١٨٧٩ ــ ١٩٥١) ، وهانس فالدا(١٤) (١٨٣٩ ــ ١٩٤٧) في الجزء الشرقي من المانيا ، وكونا لهما اتصالات متينة مع الكتاب الاشتراكيين وقد مثلا الاتجاه الدمقراطي البرجوازي في نتاجيهما فاستطاعا ان يحققا بعد سنة ١٩٤٥ ذروة جديدة في ابداعهم الفني ، وتحت تاثير معطيات التربية الجديدة التي اتحدت اكثر الجهود لجعلها حقيقة في مجتمع ما بعد الحرب العالمية الثانية في المانيا .

وضع برنهارد كيلرمان روايته بعنوان «الرقصة الميتة» Der Totentanz في عام ١٩٤٨ ، وقد وصف بها المقاومة وانحلال اخلاق المواطنين في مستنقع الفاشية ، كما انه تمسك في الوقت نفسه بتسوية الحساب مع الفاشية تلك السبة اللاانسانية التي

ابتليت بها المانيا ، فتركت وراءها خرابا ماديا وروحيا معا في كل ارجاء البلاد .

سانت كيلرمان في روايته قدرته المتميزة على بناء اسلوب سيال يثير دهشة القارىء الا ان النوعية الفنية كانت متباينة ، فغالبا ما يكون سطحيا بالرغم من روعة اسلوبه الذي يحاول ان يغطي به على هذه السلبية ، يثبت الظواهر فحسب ، ولذلك فان الحدث في روايته هذه يتمدد بصورة موسعة ، وعلى حساب المواصفات الفنية الاخرى التي تتصف بها الروايات الناجحة. لقدوجدت الروايات زمن كيلرمان رواجا لها من قبل السينمائيين فاقبلوا عليها بشدة يخرجونها افلاما حية متحركة على الشاشة الفضية ولهذا السبب فقد عاشت رواية كيلرمان في اذهان الالمان بصورة خاصة زمنا طويلا ، لانها مثلت واقعا مريرا عاشه الشعب الالماني ابان الحرب العالمية الثانية وبعدها . سعى كيلرمان في روايته لان يظهر الاضطهاد الوحشي للانسانية جمعاء من خلال الفاشية الهتلرية ، ويبرز دور المقاومة البطولية بصورتها الفردية ، والتي كانت تشبه الاساطير في وقوعها . باتجاه هذا التيار كان هانس فالادا يجري ايضا وكان قد سبق كيلرمان بروايته « كل يموت لنفسه منفردا » Jeder stirbt für sich allein

ففي عام ١٩٤٧ كتب فالادا روايته ، وهي في الواقع شهادة واضحة ضدالفاشية بكل مساوئهاوشرورها، رسم فالادا المقاومة في شخص زوجين كانا يناضلان ضد وجود الفاشية ، واستعرض من خلالهما ظروف المانيا وواقعها فلما اتمها عاجلته المنية فجاة وقد كان موهبة كبيرة انتظر قراؤه منه الكثير خاصة تحت تاثير الظروف الجديدة المحيطة به بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان يمكن ان يعطي المزيد من النتاج الادبي . لقد كان فالادا بحق كاتب الانسان الاعتيادي Der Dichter der kleinen Mannes الذي يصور حياته اليومية واحتياجاته المالوفة ، وسلوكه الذي يقابل به الاخرين ، وهذه المميزات مجتمعة جعلته قريبا الى نفوس قرائه وحببت ادبه الى الناس فصار مقروءا بشدة من اكثر الطبقات بدون استثناء ، لانه يتحدث عن المالوف عندهم ، والى اسلوبه المتميز بالنثر البسيط التركيبالمتلالىء روايته « وماذا بعد ايها الرجل الصغير » ?Kleiner Mann - Wasnunالتي كتبها عام ١٩٣٢، تحدث فيها عن مخاوف الناس العاملين من البطالة (العمال، الموظفين، المستخدمين) وقلقهم المتزايد ازاء ما يجري من احداث على الساحة الاوربية ، فوصف الازمة الاقتصادية العالمية وما تركته من اثار سيئة

معكوسة في شخص الزوجين الشابين المنحدرين من اسرة عمالية تدعى الزوجة ليمشن Lämmchen ويدعى الزوج بنبرك Pinneberg واستطاعت هاتان الشخصيتان الرئيستان في الرواية ان تدينا الظواهر الاجتماعية السلبية في المانيا انذاك بسلوكهما ، وقد ترجمه المؤلف نقدا للاوضاع القائمة في هيئتيها . اتخذ المؤلف من الزوجة شخص المراة المحبة التي تسند زوجها في امثال تلك الضائقات الحادة ، فهي مثال المراة الالمانية في موقف المعاناة الحاد وقد اصبحت بعدئذ من النماذج الحية في الادب الالماني الحديث . لم يتوقف فالادا عن الرجل العادي ابدا ، لانها في اعتباره صورة اكثر الناس شيوعا في المجتمع الالماني . وقد اخذ على هانس فالادا التزامه بهذا الخط ، الذي جعله يجري في المسار المحلي ولكن على نطاق المانيا . وهذه بعض سلبيات فالادا الفنية . المشهور عن فالادا انه بان مفرما في روايله برسم الانسان بهذه الهيئة ضمن نطاق المانيا بمشاكلها وتقاليدها وخلفيتها ، ومحاولته هذه تنطلق من فهمه للوطنية ، فادبه ادب وطني يحمل سمة الاتجاه الدمقراطي البرجوازي وهو يتحدد بالفرد ، لانه المعيار الذي تقاس به حدة الظاهرة الاجتماعية او خفتها ، ويظل يجري في نطاق الفردية لا يعبره الى المجموعة ، فرايه ان

العبور الى المجموعة يؤدي الى تفتيت الظاهرة المدانة والتي هي مركز الحدث في الرواية . ان تقيد هانس فالادا بهذه الحدود وجهت اليه نقدا كثيرا ، ونبه الى ان الظاهرة الاجتماعية التي تعيشها المجموعة الانسانية ، لا يمكن للفرد ان يحمل وزرها وحده بل تشاركه المجموعة فيه ولذلك فان روايته «كل يموت لنفسه منفردا» التي كتبها عام ١٩٤٧ حاول ان ينتزع صورة الفاشية اللاانسانية من المجتمع بهيئة مكبرة ، ويظهر كيفية وقعها على الانسان الاعتيادي كي تماشي منهجه الروائي ومع انه اوضح رد الفعل المعاكس للفاشية ، ولكنه بقي في مدار الاحساسات الفردية للرجل البسيط ، فالفاشية وحشية مدمرة عند الانسان الاعتيادي .

وقد اوضح فالادا ان رد الفعل عند الرجل الاعتيادي لم يكن منظما ، وغالبا ما يتخذ وسيلة خطا للاعراب عنه ، ولكنه على اي حال استجابة فطرية بسيطة وطبيعية لديه تصدر عن مفهوم الخير عنده ، وهذا الموقف من جانب الرجل الاعتيادي موقف اخلاقي جدا ، لانه احتجاج ضد العوز والفاقة والموت ، وهو دعوة من اجل انتصار ارادة الحياة ، ومن ثم فهو قوة الانسانية الخيرة في الانسان الفرد بغض النظر عن جنسه ومعتقده

وشكله ولونه .. لقد تميز وجه هانس فالادا الادبي بهذه التقاطيع على طول الفترات الادبية المتتالية .

هذان الاديبان فالادا وكيلرمان لم يبلغا في انتاجهما الادبي مدى الاعمال الفنية الكبرى للكتاب البرجوازيين امثال هاينريش مان (١٨٧١ ـ ١٩٥٠) Heinrich Mann واخيه توماس مان (١٨٧٥ ـ ١٩٥٥) Thoman Mann وغيرهما من الذين وضعوا فنهم الكتابي في خدمة الطبقة العاملة ، وكافحوا سوية في جبهة نضال مشتركة ضد الفاشية .

خصص هاينريش مان للتكوين الدمقراطي الجديد في المانيا نصيبا اوفر في روايته المنشورة باسم «اللهاث» Der Atem التي كتبها عام ١٩٤٩ وفي روايته الثانية بعنوان « ترحيب لدى العالم » Empfang bei der Welt التي كتبها عام ١٩٥٠ اقتاد فيهما نقده للمجتمع الامبريالي عن طريق تحليل واقع ذلك المجتمع ، وقد تخطى غالبا في روايته الثانية منهج التكوين الواقعي .

اما توماس مان فقد بلغ قمة نتاجه الادبي في روايته الكبيرة دكتور فاوستوس Doktor Faustus التي كتبها عام ١٩٤٧ . عرض فيها صورة الفرد الالماني بتمزقه بعد الحرب ، والخراب

الروحي الذي اكتنف نفسيته . ان رواية توماس مان هذه مناقشة لموقف المثقفين البرجوازيين الالمان وهي في الوقت نفسه مناقشة لتيارات التطور الفكرية والثقافية المختلفة المتنازع في المانيا ، التي ساعدت الى حد كبير على هذا التمزق الواضح المعالم ، فمن وجود النزعة الاستعمارية الالمانية ، التي ادت بها الى هذه الكارثة حتى زوال العتمة الدكتاتورية عن وجه المانيا يتعرض توماس مان في روايته ما استجد في اثناء هذه الفترة ، وقد اتحدت عناصر فلسفية واجتماعية وجمالية داخل روايته ، فغدت دراسة ذات معنى عميق لما اكتنفها من جو للتامل الطويل في طبيعة الظواهر الاجتماعية المتباينة ، وفي طبيعة التوازن لكل التيارات الثقافية القائمة وقتها.

لقد ترجم توماس مان حياة الموسيقار ادريان ليفركون ، وحاول ان يركز فيه تاملات العصر ، وجعل ماساة مصير الشخصيات تذوب في ماساة الافكار التي يكسبها التامل النظري قيمة ، وذلك عن طريق طرح التساؤلات عن الحياة والموت . اثبت توماس مان في تساؤلاته موقف الشعب الالماني وما يجب ان يكون عليه من فكرة الحياة والموت ، فكيف تتشكل الحياة ؟ ولماذا الموت بعد ذلك ؟ هذا التساؤل غفل عنه الشعب الالماني او تغافله : كيف يمكن ان يحدث للشعب الالماني الذي تعود الحياة

العقلية والفكرية والذي تشبع بدوافع المعرفة منذ عهد بعيد . كيف يمكن لهذا الشعب أن يرضي بعار الفاشية ؛ ولا يكتفي بذلك ، بل يقبل عن طواعية استغباء الفاشست له ؟ ومن ثم ينسى اصغر التساؤلات التي تهم وجوده : كيف يجب ان نعيش؟ ولماذا نموت من اجل لا شيء ، وبهذه الطريقة ؟

عالجت قصة الدكتور فاوستوس ما حدث في السنوات بين (١٩٤٣ ــ ١٩٤٥) وتحت انفجارات القنابل الشديدة التي رجت العالم باسره ، واعلنت بدء زوال الفاشية الالمانية،حينذاك اختتم توماس مان سرده لقصته بهذه الكلمات : قصة نشوئه قد انتهت وقد بدات حياته الدنيوية. والمعني هنادكتور فاوستوس .

لقد توصل توماس مان بهدوء في روايته هذه الى نموذج فني واقعي غني بالمدلولات والمعاني ، وهو رمز عن الانسان تحت وطاة ظرف معين مجرد من المكان . وهو بهذا قد نقد من خلال نموذجه جميع قوانين المجتمع الامبريالي الزائلة ، ومن النماذج التي يشار اليها في هذا المجال رواية الكاتب ليون نويتسبت فانكسر Lionfeucht Wanger (١٨٨٤ ــ ١٩٥٨) التاريخية بعنوان « الثعالب في فاينبرك » Die Fuchse im Weinberg كتبها عام

١٩٤٧ ، وبلغ بها مرتبة عالية وجديدة للنموذج الواقعي المطروح الذي يعالج جملة المشاكل الانسانية التي يعانيها المجتمع الالماني بعد الحرب العالمية الثانية .

1- Inge Diersen, Untersuchungenzu Thomas Mann S. 250, Rüttenund loening Berlin, 1965

2- Eberhard Hilscher, Thomas Mann, Verlag Berlin, S. 162-786, 1968

3- Kunst und Literatur, ein Aufsatz unter dem Titel, Thomas Mann über die Krise der Kunst., Von N. Dmitrijewa, Nr. 6, 7, 1969

★ ● ★

المسرح الدرامي وتاثره بالظروف القائمة

لقد سيطرت مناقشة الفاشية حتى على الدراما الاشتراكية بعد عام ١٩٤٥ ، واقتضى الواجب الوطني تحولا جذريا في المسرح الموجود في مفهوم كوتهولدا فرايم لسنج (١٧٢٩ ــ ١٧٨١) ، وفردريش شيللر (١٧٥٩ ــ ١٨٠٥) لتشكيل مسرح للتربية الجديدة بمفهومها الوطني والقومي والانساني ، ليكون المسرح في مستوى الطموح ، فيوقظ وعيا دمقراطيا معاديا للاستعماروالرجعية. وقد صمم كتاب الدراما على المشاركة الفعلية باصرار في هذا الواجب الاساسي وكان المعتقد السائد انه بدون دراما دمقراطية ، ومن غير دراما اشتراكية سيكون تطوير المسرح مستحيلا .

وقد كسب العمل المسرحي من الاشعار والاعمال النظرية للدرامي الاشتراكي برتولت بريشت (١٨٩٨ ــ ١٩٥٨) معنى وطنيا حاسما .

عاد برتولت بريشت عام ١٩٤٧ من الولايات المتحدة الامريكية الى اوربا ، فذهب اولا الى سويسرة . وفي سنة ١٩٤٨ عاد الى بلده المانيا ، فاستقر في برلين الدمقراطية وانشا مع زوجته هيلينا فايكل Helene Weeigel الفرقة البرلينية Berliner Ensemble وقد حصل هذا بعد ان ذاعت شهرته على النطاق العالمي .

اتم بريشت عام ١٩٤٥ مسرحيته « دائرة الطباشير القوقازية » Der Kaukasische Kreidekreis التي استمدها من اسطورة صينية ، فكان ان عاد اليها ثانية مفتتحا بها الموسم المسرحي لعام ١٩٤٧ .

في هذه الدراما رسم الشاعر واحدا من ابطاله الشعبيين الواقعيين ، وهو نموذج الفتاة البسيطة ، كروشا Grusche ، وقد حمل بريشت هذا النموذج مقتضيات المرحلة الراهنة ، فارانا هذه الشخصية وقد البست اطار التفوق الانساني في عواطفها ، وقلبها الكبير ، وملخص الحدث ان كروشا تعهدت بنفسها طفلا غريبا كانت قد تخلت عنه امه ، فاوعز الحاكم في النهاية ان تاخذ كروشا الطفل نظرا لما قدمته من تضحية مخلصة في سبيله كما انها في هذه الاثناء كانت تتحقق من مدعية

الامومة . والمسرحية بمجموعها تعبر عن نهج مقبول للافكار الانسانية الاشتراكية ، وكان وقعها بصيغة هذه الكلمات :

من اجل ان يترعرع الاطفال من امهات حقيقيات
فالعربة يقودها سائق جيد،ستساق حتمابمهارة
والسهل يروى بعناية ليعطي جنى

هنا يطرح تساؤل : لماذا هذه المسرحية ؟ وما الذي اراد بريشت ان يحققه عن طريقها ؟ في الواقع ان بريشت اراد ان يعرض نموذجا للتضحية ، وان يدلل على الايدي التي شاركت الشعب الالماني في ازالة الفاشية ، وكانت مخلصة صادقة ، هي الاخرى تستحق الشكر والامتنان ، ليس هذا فحسب ، فالنموذج الاشتراكي في الدراما يجب ان يستكمل مستلزماته ليستحق هذه التسمية ، والا فسيكون تكوينه اشوه وهو مازال وليدا .

انجز برتولت بريشتعام ١٩٤٩ مسرحيته«ايام الكومونة» Die Tage der Commune وقد عرضت النضال الثوري للطبقة العاملة من اجل تحريرها على خشبة المسرح . لقد استند بريشت في عمله هذا الى تقاليد الدراما الالمانية التاريخية الكبيرة مرة ثانية . فبطل مسرحيته من العمال الثوريين الذين

يعكسون نموذجا انسانيا متطلعا لتغيير سمات عالمنا الحالي ، الا ان تطلعه مثالي جدا ، فهو يطمح لان ينظم العالم بصورة جديدة ومختلفة عن مالوفنا ووفق قوانين واعية لكل متطلبات الحياة والفكر المعاصرين . ومع ان هذه الافكار هي هدف طموح اكثر الثوريين الا انها مثالية ، فواقع الحياة لا يتغير وفق هذا المنظور وبالسرعة اللازمة ، ولذلك فان بريشت رسم هزيمة الطبقة العاملة في باريس من وجهة مفهوم كفاح تلك الطبقة في عصرنا الحالي ، لان مفهوم هذا العصر واقعي ، ويدخل في حساباته جميع المؤثرات السلبية على نضال هذه الطبقة والمعوقات التي تصطدم بها .

ادرك بريشت بصورة جوهرية شروط نجاح اي طموح ثوري مستندا في ذلك الى تجارب التاريخ فهو يؤكد تسلم السلطة السياسية كاملة بيد الطبقة العاملة عن طريق التنظيم السياسي ليتم التغيير المنشود في المجتمع .

ان هذه المسرحية دخلتها ايضا عناصر مرحلية كثيرة ، وهو موقف فئات معينة من الشعب الالماني حتى لا تتسلم الطبقة العاملة مهام الحكم وتبقى محصورة في نضالها على نطاق النقابات والتكوينات المهنية .

ما زالت هذه المسرحية تباشر المهام الملقاة على عاتق الطبقة العاملة الالمانية .

استوعبت مقالة بريشت « اشارة منطقية موجزة من اجل المسرح »
Kleines Organon Für das Theater
التي كتبها عام ١٩٤٨ ـ معاناته النظرية والعملية لخلق مسرح جديد ، وبنظرة جمالية ودرامية معاصرة معا . فقد توجه بريشت الى مسرح البرجوازية المتاخرة ، فوجده يبرقع العلاقات الاجتماعية والبواعث الاساسية بمزيج من التحكم الانساني والبهرجة والتزويقات ، وكان يحس في اعماقه برغبة ملحة ومخلصة في وجود مسرح ودراما لا تاتي لتفسير العالم وعرض ظواهره فحسب ، بل تساهم مباشرة في تغيير العالم وتخضع لمقتضى اصول الفن ، ووجد انه عندما يريد ان يضحي بحماس المتفرجين الكبير بالانتاج المسرحي ازاء خطوة جديدة قد لا يتسيغها ، فعليه ان يكون جريئا وان لا يتردد ، ويجب عليه ايضا ان يجد البديل الاكثر توافقا مع متطلبات المرحلة ، وخلاصة القول كان يجب عليه ان يظهر نموذجا قابلا للمعايشة الانسانية في الظروف الجديدة.في هذه النقطة بالذات يتساءل بريشت : اي موقف مجد ازاء الطبيعة او المجتمع

اذا لم يحتو معنى التغيير ؟ بل اي عصر علمي نتناوله في مسرحنا للاطفال ان لم نحقق فيه لهم المسرة ؟ انه في الواقع موقف نقدي صارم جدا . ففي مواجهة النهر يصمد نظام جريان النهر فقط . وازاء شجرة الفاكهة في تطعيمها بشجرة فاكهة اخرى ياتي ثمر جديد ولكنه يحمل خصائص النوعيتين.وفي مواجهة حركة النقل لابد من تصميم وسائط النقل . اما مقابل المجتمع فلابد من انقلاب في المجتمع لمصلحة التغيير والتطور والتقدم . ويجري الشيء نفسه في المسرح الذي نريده معبرا عن وجود تقدم وتطور في البلاد .

نحن نصنع نماذجنا القابلة للمعايشة الانسانية ليستفيد الجميع منها ، وما يصمد منها ينبيء عن صلاحيته للبقاء كالنهر الذي يصمد في مواجهة نظام جريانه يفيد الفلاح المستفيد من النهر ، والثمر الجديد الاتي من الشجرة المطعمة ينفع مستنبت الفاكهة ، وتصميم وسائط نقل متطورة تحدث انقلابا في وضع المجتمع . كل هذه العناصر يجب ان ندعوها لمسرحنا كي نقدمها للناس مادة تبعث مباهجهم ، وتكون غير قابلة للنسيان ، ونورد لهم ايضا عوالمهم الفكرية واحاسيسهم لتغييرهم دون ضغط او قيود تفرض عليهم .

لقد حقق بريشت دراما فعلا ، ومسرحا حقيقيا ساهم بفعالية في اقامة مجتمع اشتراكي جديد ، مستنتجا جماليات اعماله الدرامية واخلاقياتها من ضرورات المجتمع .

كتب بريشت افكارا اخرى حول هذه القضية بزمن اسبق من مقالة المتقدم ، ففي عام ١٩٣٨ كان قد كتب مقالا بعنوان « عن القيمة والنوع لمنهج الكتابة الواقعي »
Uber Werte und vielfalt der realistische Schreibweise

عرض فيه موقفه الحاسم مرتئيا : ان القوى التقدمية الثورية يجب ان تشارك في المسرح ، ويجب ان تباشر ذلك عندما تود ان تستكمل واجبها الاجتماعي في المفهوم الانساني ، (هذه المعلومات ملخصة بتصرف عن مقالته : اشارة منطقية موجزة عن المسرح) Kleines Organon fiir das Theater وانطلاقا من هذا الوضع ، ومن التحزب للاشتراكية والتضامن مع الطبقة العاملة استنبط برتولت بريشت رؤياه الجمالية عن الدراما في المسرح ، وطور نظريته وتطبيقاتها من معايشته لمستلزمات نضال هذه الطبقة التي استقاها من المسرح الاشتراكي الوطني ، ثم عممها على مسرحياته .

لقد رغب بريشت في ان يعطي صورة واقعية ذات علاقات اجتماعية وشخصية اجتماعية لمسرحه بالرغم من انه قداسيء فهمها غالبا، لكنه حاول في الوقت ذاته ان يوقظ كل دفع وشعور وانفعال شديد لمصلحة الرؤية التي تغير العالم بمفهوم التقدم الثوري .

ان النهج القديم في التاثير الماساوي الخالي من الشفقة والرعب لم يقبل به بريشت ورايه لم يكن كذلك . فقد فصل مثل هذا الشعور عن الفن المعاصر ، وطالب المتفرجين ان يتبادلوا الشعور من غير نقد ولذلك فانه رغب في ان ينتج العمل المسرحي مباشرة وان يحافظ على المسافة النقدية للمتفرجين في انتاج الحدث شعرا قصصيا . من اجل هذا الهدف فقد ثبت الوسيلة لتغريبه ، وكان يرى ان التغريب ــ بالنسبة له ــ يعني ان المرء ليس شيئا على خشبة المسرح ، فمن الواضح انه يترك ذاته ــ اي يتجرد من ذاته ، وانه عند المشاطرة الشعورية العنيفة يدرك دائما ماذا سيواجه المرء من شعور ، وانه ليس سهلا ان يلتمس تجاوبا من الجمهور . وهكذا فان كل شيء ينقل ، وكانه طبيعي وثابت ــ وكما وهبه الله .

(عن مقالته بعض التضليلات في طريقة تمثيل الفرقة البرلينية)

Einige Irrtumer über die Spiel Weise des Berliner Ensembles

وانظر كتاب فيرنر ميتنزفاي بعنوان بريشت الفصل الخاص بتطوير بريشت ككاتب دراما اشتراكية في زمن الازمة الاقتصادية العالمية من عام ١٩٣٠ — ١٩٣٣) من ص ٤٧ — ١٢٩ .

Mittenzwei, Werner, Brecht, Erstes Kapitel, S, 47-729

وكذلك كتاب هانس كاوفمان — برتولت بريشت تاريخ الدراما والقطع التمثيلية — ص ١٢٧

Kauf mann, Bertolt Brecht, Geschichts drama Und Prabelstuck, 8. 727.

وهذا ماعناه في حديثه عن الفن المسرحي ، وقد يتساءل القارىء في هذا المجال : هل اثر موقف بريشت النظري هذا في قيادته العاملين معه ؟

وللاجابة عن هذا التساؤل نحرص نحن على ان ننظر اولا الى مسرح بريشت فانه يمثل اليوم — من غير شك — تطور الدراما الوطنية الالمانية المعاصرة ، وموقف بريشت لم يكن متساهلا ابدا في فنه ولا مع المتعاملين مع فنه فمن خلال اغنائه مسرحه بالقطع المتنوعة لم يكن يترك فنه المسرحي

يتصلب على نظام واحد ، وعليه فانه يحث دائما كل سعو اجتماعي ويثيره في نفسية الممثل . وفي نفسية الجمهور المشاهد على السواء . وهكذا فان موقف بريشت في قيادته العاملين معه في الفرقة البرلينية تتبع دائما من معين واحد هو تطوير تطبيقاته النظرية على المسرح الى الافضل ولعل عمله المشترك مع ارفين شترتماتر Erwin Strittmatter في الاخراج الدرامي لـ «قبر القطة» Katz Graben وملاحظاته العنيفة حولها تثبت ذلك .

ان جهوده النظرية الاخرى كمقالته عن الديالكتيك في المسرح Dialiktik aufdem Theater جعلت الفرقة البرلينية Berliner Ensemble

تصحح دائما تطبيقاتها لمسرحياته ، وتواصل حتى اليوم تمثيلها ارث بريشت على خشبة المسرح بينما توطد في الوقت ذاته تطويرها المبدع لرؤيا الشاعر الجمالية الفنية .

ومن الذين عادوا بعد تحطيم الفاشية الى المانيا فريدريش فولف (١٨٨٨–١٩٥٣) Friedrich Wolf الذي ينتمي الى اوائل المهاجرين من كتاب الدراما . ومنذ عام ١٩٤٥ شارك في الفعاليات الثقافية السياسية والادبية من اجل اعادة التربية الدمقراطية للشعب الالماني .

ولاقامة ادب شعبي دمقراطي جديد . تتبوا جهود فريدريش فولف في التحول الدمقراطي مكانا بارزا . واعماله المسرحية المذاعة والمنشورة تلتزم بذلك الهدف بشكل دقيق جدا . لقد حاول فولف ان يشرع الدراما كسلاح وعدة مثل محاولة بريشت ويدين الظواهر السلبية بجراة وتفوق؛ غير ان طريقة عرض فولف للدراما ومنطلقاته تختلف عن بريشت؛ وهو امر طبيعي يحدث بصورة متكررة بين كتاب الدراما . كتب فولف في مقالته « الدراما كسلاح وعدة» Das Drams als Waffe und Werkzeug التي نشرها عام ١٩٤٩ قائلا «الفن كسلاح ضد الماضي الابدي ، وهذه بالذات مهمة الدراما . غير ان الدراما عدة مهمة في الوقت نفسه عدة لبناء العالم الجديد ، وجدلية الحياة هي تلك العزيمة والاندفاع فعلى حطام الماضي نبني اليوم ماهو جديد. نحن نبني المعرفة الجديدة ، والناس الجدد ، والمعامل الجديدة ... اننا نبني حياة جديدة اصلا ونعلم جيدا اي زمن واقعي رفيع ، سعيد المستقبل نعيشه نحن بالرغم من كل السلبيات والبؤس الواقع. هذه نعرفها لتساعدنا على اقتحامها بعد ان تقوي شجاعتنا ..»بهذا المفهوم الايجابي الخلاق اصبحت الدراما بالذات عدة ، وقد تهيات الفرصة امامها

لحسم موقف الانسان الداخلي والخارجي بالمقياس الاجتماعي الكبير العام وهنا اصبحت الدراما شكلا للتعبير ملائما للمرحلة كالاشكال الفنية الاخرى .

انطلق فولف وبريشت من رغبة مشتركة وهذا ما اكده فولف نصا في حوار خاص مع برتولت بريشت مشاكل المسرح الشكلية في المفهوم الجديد Zwiegesprach mit Bertolt Brecht Formprobimedes Theaters aus neuem Inhalt.

في عام ١٩٤٩ ، فهو يضع مادة فنية مختلفة الى حد ما من اجل ان تكون الدراما المذاعة مناسبة في تصويرها ؛ وهذا يثبت التنويع والحيوية للواقعية الاشتراكية .

تحلل القطع الدرامية لفولف : ماذا يبذر الانسان ؟؟ Wasder Mensch Säet التي كتبها عام ١٩٤٥؛ وكحيوانات الغابة Wie Tiere des Waldes التي كتبها عام ١٩٤٧ تاثير الفاشية السيىء على جميع جوانب الحياة النيرة بينما يعالج في مسرحيته «العمدة آنا» Bürgermeister Anna . وقد اعدت كفيلم عام ١٩٥٠ للسينما ــ مشاكل الحياة الجديدة في المانيا بعد سنة ١٤٥.ملابسات هذه المسرحية الهزلية ماخوذة من سنة ١٩٤٦ ،

فتحت ادارة امراة شابة تدعى آنا دريفز Anna Drews تقوم مجموعةمن الرجال والنساء بتخطيط مدرسة في القرية وتواجه هذه العملية صعوبات كثيرة من جميع الجهات ومعوقات للعمل اكثر من ليمكول Lehmkuhl المسؤول الاقتصادي عن الفلاحين والمحافظ الاسبق ومن بعض الرجال الذي كان يؤثر فيهم كثيرا ، بينما يقف بوب اوكر الذي عاد توا من الاعتقال الى موطنه ، وكان صديقا لآنا موقفا آخر .

كانت مخاوف ليمكول ان المدرسة ستنتزع تاثيره الدمقراطي على القرية بينما كان يوب الخبير الاستشاري يرتأي غير ذلك .. وهذه التطلعات الشخصية تكون مواقف فردية بمفارقاتها المضحكة وتكون في الغالب معوقات حادة للعمل الجماعي بصيغتها المنفردة هذه ، ولذلك فان فريدريش فولف ادخلها كمادة للضحك لما فيها من مفارقات في مسرحيته الهزلية . لقد رسم عن طريق المادة الهزلية النضال الذي كان على سيدة ان تخوضه لتثبت في القرية كمسؤولة ادارية وبجدارة ، ومن اجل ان تنجح في عدم الانحياز للعالم القديم ، ناضلت ما في وسعها لان تدخل مفاهيم التربية الجديدة على كل مرافق الحياة في القرية ، ولكنها

كانت تصطدم بمفارقات مضحكة هي وليدة مفاهيم التربية القديمة والمسرحية تعطي صورة نموذجية لمحاولات التجديد التي جرت ، وقد نجحت بعد كفاح مرير وشاق ولم تستطع القوى الجديدة ان تحقق اهدافها في التجديد الا بعد ان ازالت ما تركه الماضي من انقاض وتمزقات في كل مرافق النفس الالمانية .

لم تقف محاولات فريدريش فولف على الحاضر فحسب ، فمنذ ثلاثين عاما كان يفكر في كتابة دراما عن الارض والفلاحين وعلاقة الانسان بها بمفهوم ثوري جديد .

وقد اخرج دراما بعنوان كونراد المسكين Der arme konrad في خريف عام ١٩٢١ ، الا انه بعد عام ١٩٥٢ وجد الوقت مناسبا خاصة انه انكب على دراسة التاريخ ليكتب دراما عن ثورة الفلاحين يحملها ما اراد الاصلاح الزراعي ان يوقظ به ضمير الفلاحين وشعورهم . وفي اغسطس من هذا العام عرض فولف القسم المهم من هذه الدراما ولكنه توقف فجاة ، وعاد اليها مرة ثانية ، والسر يكمن في ان المانيا قد قسمت الى دولتين منفصلتين ، وبنظامين متغايرين ، ومن هنا حمل فريدريش فولف شخصية

توماس مونتـــزر Thomas Münzer حلم الجماهـــير الالمانية في اعادة توحيد المانيا على اســس دمقراطية جادة ، وتعرض للمفهوم الوطني يسرده احداثـا تاريخية ماخوذة من حياة هذا الفلاح الثائر .

لقد ساهم فريدريش فولف باعماله الدرامية المبكرة والحديثة وبعمله التطبيقي بقسط جوهري لابداع مسرح الماني جديد قد اعلن من على خشبته عن ميلاد فن درامي اشتراكي لعموم المانيـا .

★ ● ★

التيـار البرجـوازي الانساني في القصة القصـيرة والرواية في القسم الغربي من المانيا

استطاع كثير من الادباء الالمان العودة الـى بلادهم ، وكانت مواقف السلطة منهم متفاوتـة ومختلفـة .

ففي الوقت الذي قدمت فيه كثير من التسهيلات لعودة الادباء الى القسم الشرقي وضعت الدوائر الامريكية صعوبات جمة للادباء الاشتراكيين بصورة خاصة ، فاضطر عدد منهم الى مغادرة القســم الغربي ، واستيطان القسم الشرقي من المانيا ، وقد تحقق لهم ما ارادوا ان يعيشوه من امنيات ، وما انتصب من اجله كفاحهم ضد النازية والدكتاتورية والطغيان الفردي بالقلم والسلاح فيوهانس ربشر وبـرتولت ، وفيلي بـريدل ، وستيفان هـرملين ولودفيج رن وانا زيكرس ، وادم شارر ، وفريد

ريش فولف وارنولدرفايج واخرون اتخذوا مواقع لهم لاستئناف النضال من اجل البناء هذه المرة . وقد توفي هاينريش مان بعد قليل من تمكنه السفر الى المانيا الدمقراطية وبعد انتخابه اول رئيس لاكاديمية الفنون .

عاش في المنطقة الغربية من المانيا صف من الكتاب البرجوازيين الدمقراطيين الذين خدموا ميلاد الوطن الجديد بصدق واخلاص ، وضحوا من اجل ذلك باشياء كثيرة ، وتمنوا بعث هذا الوطن من بين الركام الى هؤلاء ينتمي الكاتب فولكانك بورشرت (١٩٢١ – ١٩٤٧) Wolfgang Borchert

كان بورشرت من هامبورك ، وكانت مسرحيته «خارجا عند الباب» Draußen vorder Tur تهمة حماسية ضد الحرب الفاشية ، ومع ان الالوان القاتمة هي الغالبة ، ونغمة الشك هي الاكثر ارتفاعا لكن الموقف الاساس الذي تصوره المسرحية انساني يغفر للكاتب التلاوين المتذبذبة والمترجرجة ، التي تنم عن اهتزاز صريح احيانا في رؤيته الايديولوجية.

تتساءل هذه المسرحية عن الانسان عموما ، فهي اشبه بشهادة شعرية كبيرة ، وافادة شعرية تدين الاوضاع الشاذة في المجتمع الفاشي ، وتعبر باشكال بعيدة عما هو تقليدي .

لم يتوقف كاتبها بورشرت عند التاكيد المجرد على ان الانسان طيب فحسب وانما ذهب الى ابعد من ذلك ، فقد حدد وبشكل قاطع صفة الطيبة ، وكيف يجب ان تكون ؟ ولاي غرض تستغل ؟ وهذا الشكل اثار حوارا متتاليا خاصة هذا المقطع منها :

بكمان : Beckmann :

اوه .. نعم .. الناس طيبون حقا ، غير انهم مختلفون بشكل فظيع .. وهكذا هم ، فنحن لا ندرك سبب اختلافهم .. هذا الانسان عقيد في الجيش ، بينما الاخر خادم حقير فحسب .. ، فالعقيد شبعان معافى يرتدي ملابس قطنية ، له فراش وزوجة في المساء والاخر جائع يتسكع لم يملك مرة قميصا واحدا .

الاخر : Der Andere :

الناس طيبون .. انظر الى قلوبهم .. قلوبهم طيبة ، غير ان الحياة لا تسمح لهم بان يكشفوا عما في ضمائرهم صدقني الكل طيبون عموما.

بكمان : طيبي .. في الاصل .. ولكن الاساس عميق .. ولا يمكن ادراكه .. نعم في الاساس هم طيبون ، ولكنهم مختلفون حقا .

حصر فولفكانك بورشرت تشكيل مسرحيته

الفني في الناس المجردين وقليلا ما استطاع ان يصور الناس من الوجهة التاريخية الحقيقية الثابتة ، ليكشف عن علة تباينهم الاجتماعي والمعروف جدا ان التناقضات الانسانية انما هي في حد ذاتها صراع طبقي يمكن ان يحل بتعديل النظام ولزوم العدالة ؛ وشهادة بورشرت الشخصية تقضي على رغباته الانسانية حتى اخر حدودها ، لانها اشبه بمسلمات لا تستدعي نضالا يحرك عزم الناس على التحرر من الاستغلال والجشع والتكالب . انه يستحضر شكلا انسانيا يردده برومانسية ملحوظة تحدد طبيعة التجريد في فن بورشرت :

اشتهي ان اكون منارا
في الليل والريح
للسمك المفترس ، وللسمك القزم
ولكل قارب
وان اكون انا نفسي حقا

سفينة عند الحاجة (بورشرت : من مجموعته الشعرية) فمن اجل ان تكون صورة الانسان حية متحركة دافئة في النتاج الادبي ـ ايا كان نمط هذا النتاج ـ يجب ان يتخذ الكاتب موقفا محددا مبينا على ايديولوجية واضحة جدا ، ولعل الكاتب

هاينريش بل (١٩١٧) Heinrich Böll في اول اعماله «القطار وصل في الوقت المحدد» Derzug war Punktich التي كتبها عام ١٩٤٩ ؛ وهانس اريش نوساك Hans Erich Nossack مواجهة مع الموت Interview mit dem Tode التي كتبها عام ١٩٤٨ . كان هذان الكاتبان واضحين في موقفهما من هذه المعاناة الصعبة والمرة للشعب الالماني بعد الحرب العالمية الثانية . لقد كرس كلاهما نتاجه للاجابة عن جملة اسئلة دارت بخلد الفرد الالماني عن معنى الحياة الانسانية ، ومعنى الموت في الحروب ثم مناقشة تجربة الحرب العالمية الثانية مع الشعب الالماني بالذات؛ان موقف نوساك في روايته «مواجهة مع الموت» يعتمد على ان اساس الوجود الانساني هو العوز والقذارة وقد اثبت هذه المعضلة في جزء رئيس من روايته الانفة الذكر .. انه يتساءل عن معنى الحياة الانسانية التي مزقتها الحرب ، ويناقش ماذا ستكون عليه الاخلاق البرجوازية بعد زمن الحرب في القسم الغربي من ارض المعجزة الاقتصادية ـ المانيا .

ان نظرة نوساك هذه تدلل على مجموعة تمزقات داخلية احدثتها ظروف الحرب الصعبة المارة بالامة الالمانية . لقد فقد نوساك رؤياه

الشعرية المشرقة بسبب الخراب العام ، فكانت نظرته الى المستقبل متشائمة وفيها مرارة حادة . ان هذا الامر تتميز به النفوس المفرطة في حساسيتها والمنفصلة عن واقعها ، فلو نظر نوساك الى المشكلة بصورة موضوعية لعدل من موقفه كثيرا . ان نظرة نوساك لا تليق بالاديب المعاصر ، فالتشاؤم يدفع الى اليأس ، وزرع اليأس في قلوب المناضلين هو ما يريده الاستعمار . والاديب النابع من صميم وجود وطنه وامته لا يسمح لنفسه بموقف كهذا البتة مهما كانت الظروف .

لقد كشفت هاتان المحاولتان لهنريش بل ونوساك عن طبيعة موقفيهما ، ان المشكلات الانسانية التي تناولتها اعمال ادباء القسم الغربي من المانيا ، وطريقة التعبير عنها لم تتجاوز نطاق ادب بورشرت نفسه ، ولم تبلغ كثافة ولا عمق طاقته الكتابية ، فلو ان بورشرت تجاوز رجرجته في رسم المواقف والشخصيات لاستطاع ادبه احتلال مركز بارز ومهم في هذه الفترة وبجدارة حقا .

اشتهر هاينريش بل من خلال حبكته الفنية في نتاجه ولها ارتباط نقدي اجتماعي بمشكلات الساعة في المانيا .. ويمثل نتاجه في الادب الالماني الغربي ادب جيل ادباء ما بعد الحرب العالمية الثانية .

انه قصاص يتميز بامكانية بناء الحدث بواقعية حادة جدا بالرغم من ملامح بعض ابطاله المتشائمة وهذه المسحة وليدة وضع المانيا زمن الحرب وبعدها.

ان موقف هاينريش بل Böll الاساسي الفني غير قابل للانفعال ، وانعطافه النقدي الاجتماعي غير مشروط لانه ازاء موقف فكري موضوعي . فهو ضد الفاشية بكل صورها والحرب العسكرية وعقلية المعجزة الاقتصادية ، ان هذه الافكار المتجددة في عقليات فئات واسعة من الالمان الغربيين هي فيما يتخيلون نتيجة وضعهم المأزوم من كل الوجوه . فالقلوب الجريحة بعمق لالاف القتلى من الالمان ولاجل لا شيء سوى انهم ينطلقون من عقيدة كاثوليكية مبتذلة تؤكد بلا شك وهمهم الذي يعيشونه من انهم يقررون موقفا اخلاقيا مسيحيا انسانيا وقد اقحمت على طبيعته موعظة الجبل للسيد المسيح تلك التي اجهدتهم ، وتركتهم يلهثون وراء حقيقة وهمية . هاينريش بل Böll لم يتمذهب لفئة معينة ، ولم يتعصب لمذهب ، وهو في الوقت نفسه لم يكتب شيئا ضد التعاليم المسيحية ، والتقاليد الكهنوتية او ان يكون ضد الكنيسة الرسمية لكنه يرتبط بتفسير نموذج السيد المسيح كاعمق ارث انساني يطمئن اليه ، وفكرة الله عبارة عن حب للانسان .

انظر كتاب كونترقرث : هاينريش‌بل الفصل الخاص عن ذكرى الله في ادبه من ص ٨٧ ــ ١١٤
Wirth, Günter, Heinrich Böll, Der Titel des kapitels "Das Gedächtnis Gottes S. 87-114

لقد مكنت جملة هذه الافكار ادب هاينريش بل Böll ان يحتل مركزا مرموقا في الادب الالماني الغربي ، وقد وجد تجاوبا لدى الشعب الالماني باجمعه ولهذا لم يبق الكاتب صوتا منفردا يضطره ضميره الادبي لانه يصرخ باعلى قوته ليوصل موقفه الانساني الصحيح الى الجماهير . انه يوضح في نتاجه ضعفه وقوته كفرد من الشعب الالماني . وفي قصصه الحربية كقصة (الحرب ، العودة الى الوطن الادب الحطام ..) يدين الحرب ويكافحها باقصى طاقته ، لانها مدانة ولا انسانية من جميع وجوهها وهو يدور دائما لتحقيق ما هو انساني . انه يقف ضد كل السخافات التي يرتكبها عالمنا مما لا معنى له ، ومنها لعبة الحرب القذرة . نشرها ينريش‌بل Böll في الصحف قصصا قصيرة منذ عام ١٩٤٧ في الوقت الذي ساد في المانيا ادب يمجد الحرب ، ويدعو الى عودة العسكرية الالمانية المدانية الاستعمارية المتمالية . انه ادب مفضوح حقا ، فلقد ارادت الدوائر الاستعمارية الالمانية ومن ورائها

الاستعمار الامريكي من هذا الادب ان يستوعب الفاشية كنواة لفكرة تخليص المانيا من محنتها ، وعندما تشيع اتجاهات كهذه فسيكون الادب نتيجة حتمية لهذه الصورة. لقدقال بل Böll عن‌ذلك انه مرض كالتيفوس . نشرت ا«هاينريش‌بل»مجموعة قصصية تحت عنوان«ايها الجوال. .تعال‌نحو سبا» Wanderer, Kommst du nach Spa. ..... نشرها عام ١٩٥٠ ، وقد وسمها عام ١٩٥٨ . لقد اثبت بمجموعته هذه قدرة فائقة في كتابة القصة . فهو ينظر الى هذا النمط الادبي كأحب شكل عنده لانه سيكون تاما من بعض وجوهه ، وسيشد الناس الى جوهر قضيتهم وهو يقول بهذا الصدد مؤكدا ان هذا الشكل النثري يبقى عندي شديد الفتنة ، لانه في الاقل شكل نموذجي جدا . لم يتغير موقف بل Böll هذا حتى في قصته الطويلة«القطار كان بالموعدالمضبوط» Der Zug War pünktlich التي كتبها عام ١٩٤٩ . يرسم بل Böll غالبا العائدين الى الوطن ، وجملة سلوكهم المضطرب ، فلا هم مدنيون يستطيعون مماشاة الحياة في المدن ، ولا هم عسكريون يستطيعون‌تحمل‌حياة الثكنات‌العسكرية. من خلال هذه النماذج يهاجم دوافع الحرب القذرة بميل حار وكل ما يذل الانسانية ويشين مصير الوطن المعذب ، ثم انه يفضح الفوضى الداخلية

التي ملأت نفوس هؤلاء العائدين من الحرب الى اوطانهم . ليست الحرب نفسها في البدء تكسة فحسب ، انها تعني انهيارا اخلاقيا واجتماعيا لابطاله ، وذلك باغتصاب بعضهم روحيا ، ومع انهم احرار في اختيار الخير والشر لو تركوا بصورة طبيعية ، لكنهم الان اشلاء ممزقة لا تصلح لشيء .

يستخدم بل Böll مادة كثيرة غير منظمة فيها اعادات وتكديس للتفاصيل ، وترجيع للملابسات يقصد من ورائه التركيز على الحدث ، وفي بعضها موضوعي بشدة ، يتخير لغة منهمكة مختصرة في النقد .

قصته الاولى .. «اين كنت ياآدم» Wo warst du, Adam ? التي كتبها عام ١٩٥١ ترسم حقيقة الحرب الرهيبة ، التي يجب ان يعرفها المرء .. دمار وخراب في كل مرفق من مرافق الحياة ، وتمزق صارخ لا يتحمله الشعور البشري ولا الاحساس الانساني .. انها بربرية وتوحش حقا ، والقصة تعرض في الوقت نفسه صورة فوضى ما بعد الحرب لتؤكد بصورة قاطعة جدا تصفية الحساب مع الحرب الفاشية تلك ، والتي لم يجن منها الشعب الالماني غير الخراب . وقد عرضت هذه القصة من ناحية اخرى ركاكة فكرة الحرب على

انها حل للمشاكل ، انها كتاب عن الموت لا مغزى له .

في قصته الثانية «ولم يقل احد كلمة واحدة نحسب» Und sagt kein einziges Wort التي كتبها عام ١٩٥٣ يعري بل Böll حكام المانيا على اختلافهم ، ثم يتناول هذا الموضوع للمرة الثانية عن البيت الذي لم يحرس .. انها المانيا على اتساعها وحدث هذه القصة ماخوذ من مثال صغير لزواج برجوازي معرض للخطر ، لانه كان يقوم على المصالح الذاتية . وكان الزوجان يمثلان واجهة فارغة للنظام الخداع للمجتمع الالماني الغربي لما بعد الحرب العالمية الثانية في بناء الامال .

وقد حاول بل Böll ازاحة النقاب عن فقر الناس النفسي والخلقي من خلال نداء الضمير الانساني ، وعن موقف المجتمع الخلقي في الوقت نفسه ، وكيف يجب ان يكون ؟ ولماذا ؟ انها في واقع الحال هجوم على ما يسمى بالبيئة الكاثوليكية في قصة بل Böll (بيت بلاحارس) Haus Ohne Hüter التي كتبها عام ١٩٥٤ . لايقف المؤلف متسلطا على الزمن والبيئة والتفاصيل ، ولكنه يقف عند الشخصية النموذج ليربطها بجو القصة ربطا محكما. انه يمتلك في هذه القصة تقنية جديدة مختلفة عما

يعهده متتبع قصصه في نتاجه السابق ، لقد وفق في عرض المشاكل الشخصية والعامة : اطفال لا مستقبل لهم ، ارامل الحرب الوحيدات ، مثقفون لا اتجاه لهم ، بقايا اسر مختلفة اجتماعيا ، اشارة للطبقة البرجوازية المتباينة في التركيب النفسي والاقتصادي .

ان ادب هاينريش بل يشكل علامة شديدة الوضوح في طريق الادب الالماني الانساني ليس في المانيا الغربية بل في عموم الدولتين الالمانيتين وللشعب الالماني كافة ومتكلمي اللغة الالمانية من الشعوب الاخرى .

تحتل اعمال ليونارد فرانك (١٨٨٢ ــ ١٩٦١) Leonhard Frank موقعا خاصا في ادب المانيا الغربية المعادي للفاشية ، فلقد عاد الى بلده بعد الحرب واستقر في ميونخ عام ١٩٥٠ كما بين ذلك في عمله الدرامي «المحرمون» Die Ilegalen الذي كتبه عام ١٩٥٤ .

انهى ليونارد فرانك روايته «ماتيلدا» Mathilda عام ١٩٤٨ ، وجعل التعبير عن الصراع ضد الفاشية ــ نقطة الارتكاز في جزئه الثاني ــ مقروءا في غلب المانيا كتفاصيل لحدث الرواية ، ولم يكتف فرانك

بذلك ، فلقد ربط بين تقاليد المانيا في العشرينات وبين ملابسات روايته (الشاب يسوع) Die Jünger Jesu عام ١٩٤٩ ، فهي تتحدث عن شباب يجدون انفسهم في عوز ، هو من مخلفات الفاشية في المانيا ، وبسبب هذا الظرف تسعى هذه المجموعة لان تؤسس سوية مجتمع الشاب يسوع الخاص ــ انه يأخذ من الاغنياء الذين يملكون كل شيء ، ويعطيه للفقراء الذين لا يملكون شيئا . انه منفذ لمعدلة بكل صورها . ترى هل تحل امثال هذه الشخصيات بجهودها الفردية مشكلة الشعب الالماني زمن ازمته؟

هذا الضرب من التوجه الفكري بقي فوضويا ووهميا ، لانه بمثابة تمرن مثالي ممعن في الخيال على العدالة الاجتماعية ليس غير، وليس الزمن زمن روبن هود جديد على كل ما في شخصيته من سلبيات فالحل يظل لمشكلة الصراع الاجتماعي قائما ، وكذلك فان الشاب يسوع ينفك من جماعته، وينضم الى كتلة الشباب الاشتراكيين . ان نقلة الشاب يسوع من حال الى اخرى هي اشارة لما يجب ان يفعله المجتمع الالماني ، فعليه ان ينتقل من الطوباوية الدينية الى واقعه المعاش ، لان الحلول الجزئية لا تقضي على العوز ، وموقف النعامة من الصياد لا يغنيها سلامة . (انظر كتاب الكسندر آبوش بعنوان

الادب في زمن الاشتراكية ص ٤٩٣ ــ ٥٠٧ مقالة عن ليونارد فرانك)

Abuch, Alexander, Literatur im zeitalter des Sozialismus, S. 493-507 Ein Artikel unter dem Titel Leonhard Frank.

لقد اعرب احد آباء هؤلاء الشباب الذين انضم اليهم الشاب يسوع عن قناعة المؤلف ليونارد فرانك من انه خلال خطة اقتصادية اشتراكية سليمة يمكن ان تنشىء المانيا دمقراطية مسالمة معافاة والعكس هو الذي يجر المانيا الى الهاوية .

ان النزعة الوطنية في ادب ليونارد فرانك تتقرر على السنة ابطاله عملا ناجعا منقذا لوضع المانيا المتدهور ، انه يتساءل عن اكثر المشاكل التصاقا بحياة شعبه كترك نادي ساسو الرياضي الذي لم تمس ممارساته الفاشية المتواصلة ، مع انها تربح اي تأثير ، غير ان احتجاب الدمقراطية المناسبة لالمانيا الغربية هو ما ينعاه ليونارد فرانك على بلده ، لانه السؤال القلق الذي يصمت عن الاجابة عليه الكتاب .

ترى ماذا ستكون عليه المانيا في السنوات العشر القادمة ؟ المسموح به فحسب ان يظهر التطور المليء بالمحن في المانيا الغربية وشعبها ، ومع كل هذا فان ثقة ليونارد فرانك بالناس كسبت التماسك

والثبوت ، وغدا محددا في نثره بقضايا وطنه وامته قياسا الى موضوعات شعره الانطباعي المعادي للحرب .

عن هذا العلم الانساني الجديد عرض الكاتب وبشعور عميق سيرته الذاتية في كتاب يحمل عنوانا رومانسيا يلفت الانتباه وهو «يسارا ، حيث يقع القلب» Links, wodas Herzist كتبه عام ١٩٥٢ . يردد بطل هذا الكتاب كلمات الشاعر ميشائيل فير كانت باسلوب ليونارد فرانك وهي تعبر عن اقتناع الكاتب بموقفه . يثق ميشائيل بالناس ، ويعتقد ان الذين يملكون نظاما اقتصاديا ايضا من غير حرب ذرية عام ٢٠٠٠ سوف ينحل ذلك النظام خلال النظام الاقتصادي الاشتراكي . انه يعتقد ان ابناء اولادنا سيكونون اكثر سعادة مما قد سمح لنا بها ، ويعتقد ميشائيل ايضا : انه يجب ان يكون انسانا اولا عندما لا يجبر ابدا على ان لا يكون انسانيا (عن كتاب ليونارد فرانك : يسارا ، حيث يقع القلب)

Ubersein Selbstportrot inder romanhaften autobiographie : links, Wodas Herz ist! S. 343

لقد وجدت اعمال ليونارد فرانك رواجا كبيرا لها في المانيا الدمقراطية ــ وطنه الحقيقي كما يقول

هو . ففي عام ١٩٥٥ كرم الكاتب بمنحه الجائزة الوطنية .

الى جيل هؤلاء الكتاب ، الذين كانت لهم قناعة انسانية في ان يتقدموا في جبهة واحدة ضد الفاشية الالمانية ، وضد العسكرية الشريرة ينتمي الاديب المسيحي راينهولد شنايدر (١٩٠٢ — ١٩٥٨) Reinhold Schneider كان شنايدر كاتب مقالات وشاعرا ، وله دواوين شعرية منها «الرؤيا» Die Apokalypse نشره عام ١٩٤٩ و « السوناتا من الحياة والزمن للمعتقد والتاريخ » Die Sonette Von leben und Zeit, dem Glauben und Geschiohte

نشره عام ١٩٤٥ .

يشارك شنايدر في موقفه من الفاشية كاتب الدراما اولريش بشر Ulrich Becher المولود في برلين عام ١٩١٠ . عاد هذا الكاتب عام ١٩٤٨ الى اوربا ، فاستقر في مدينة بازل في سويسرا ، ولم يبرحها ، وكان يحمل الما كبيرا في نفسه من اجل بلده تمثله في نتاجه اجمع ، فقطعته الدرامية «الفاجر» Der Bockerer التي كتبها عام ١٩٤٩ تمثل نوازعه النفسية الحادة تجاه ما يجري في العالم الخارجي من حماقات تهد الانسانية وتدمرها ، وفي اعماله

الدرامية الاخرى من امثال الانسة لوفنتسون Madamoiselle Lowenzorn وعمله النثري « السيدة والموت » Die Frau und der Tod التي كتبها عام ١٩٤٩ و « وقليلا بعد الرابعة » Kurz nach 4 التي كتبها عام ١٩٥٧ تسوية الحساب مع الفاشية والحرب الاستعمارية يعرضها بصورة حادة جدا ويهاجم محاولة الاستعمار الغربي لاحياء القوى الفاشية وجيوبها في المانيا الغربية .

ان صفة ادب جيل هؤلاء الكتاب المتميزة هي : تملكهم الوجه الانساني بدافع من الوطنية ومحبة الامة ، ومقاومة لكل نزعة شريرة تحاول ان تجر المانيا الى حرب مدمرة . والذي نعتقده من خلال ما نقرؤه من نتاج هؤلاء الكتاب ان ظروف البؤس التي عاشتها المانيا قبل حربين عالميتين مدمرتين وبعدها اعطت المجال للاقلام الشابة المتحررة لان تصور المخاوف بشكلها الطبيعي . وبشكل مركز جدا في اغلب النتاج الادبي في المانيا بعد الحرب العالمية الثانية ولم تقتصر هذه الاقلام الشابة على تصوير المخاوف فحسب بل ادرجت توقعاتها لتكرار الاخطاء السابقة تحت ظروف جديدة ولكنها في الوقت نفسه مرعبة ، ومرعبة جدا لانها ستكون قاضية .

الواقعية السحرية وما تبعها

توافرت مادة الادب المعادي للفاشية بعد عام ١٩٤٥ بقليل بصورة ملموسة في كل المانيا . وبعد فترة وجيزة جدا من الحرب شب صراع عنيف جدا بين مختلف الكتل التي تمثل ايديولوجيات مختلفة ووجهات نظر سياسية متباينة لحل مشاكل الحياة الوطنية ، وما اكتنفها من صعوبات جعلتها مسرحا لاحداث سياسية كثيرة . وقد امتد هذا الصراع الى الادب بصورة طبيعية ــ اذا كنا نؤمن ان الادب يستمد بقاءه من الحياة نفسها . ولم تكن المعالجات التي قدمت لحل معظم الازمات حاسمة بالشكل المطلوب ، فقد بدات ردود الفعل الامبريالية تتصدى لاقرب الحلول لطبيعة المشاكل القائمة ، فتقنعت هذه القوى السوداء باشكال مضللة فعلا . فقد اسندت القوى المسيطرة في القسم الغربي من المانيا ومن اجل تثبيت مواقع هذه القوى شجعت التيارات الرجعية في الادب بصورة جلية ، لانه ادب يلائم

مصالح البرجوازية الاحتكارية ، ويسندها في السعي للسيطرة على السلطة بحجة الدمقراطية .

لقد اثار هذا الوضع اصحاب الفكر من الادباء خاصة اولئك الذين اكتووا بنار الحرب فتعلموا من تجارب شعبهم الشيء الكثير ، ولذلك فانهم قد اوضحوا باتفاق في اول مؤتمر ادبي الماني انعقد عام ١٩٤٧ : ان التيارات الادبية الرجعية قد دعمت نفسها ثانية ، وان بوادر هجمتها على الادب الدمقراطي الانساني ستزداد شراسة اذا ترك الوضع العام على هذا الشكل من الميوعة . وقد توقشت المشاكل الاساسية من خلال خطب المؤتمرين ، وكان من مجموعة الادباء الاشتراكيين .

فقد تطرقت خطبة يوهانس . ر . بشر Becher بحماس الى جوهر المشاكل الاساسية الوطنية منها والقومية ، وانهى المؤتمر ببيان وصف في الغرب بانه شهادة ضد الفاشية ، ومن اجل السلام ليس في المانيا فحسب ، بل في العالم اجمع .

لقد ترتبت على هذا الوضع نتائج كثيرة ، منها ظهور دعاوى التجديد الحاد لادب لا يمس واقع الحياة في المانيا ، ويصطدم بشدة بالادب المعادي للفاشية ، وذلك بدفعه عن الساحة الادبية اولا ،

ليخلو الجو للفاشية مرة اخرى لتضطهد كل تيار فني يخدم مفهوم الوطنية الصحيح ، والقومية للامة ، ليس في مجال الادب فحسب ، وانما في مجال مختلف الفنون التي تمجد الانسان وعمله ، او تلعن عمليات التخريب الاستعمارية قطعا .

من اظهر سمات ادب الردة هذا التجريد والايديولوجية الاستعمارية للحكام الفاشيين ، واشاعة فكرة التعصب القومي (الشوفينية) ، والكراهية العنصرية لجميع شعوب العالم بمختلف الحجج (الجنس ، اللون ، الدين ... الخ) وهنا يبدو للقارىء الفطن تساؤل وجيه جدا : ترى ما دور الشعب الذي ذاق مرارة الحرب مرتين من جراء امثال تلك الافكار اللاانسانية ، وعاشت بلاده خرابا ودمارا ماديا ومعنويا ؟ . والاجابة عن هذا التساؤل يظهرها موقف الشعب الالماني الرافض لمثل تلك التيارات .

فالقارىء الالماني الواعي كان يرفض باصرار وبشدة كل الافكار التي تطرحها الفئات الرجعية جملة وتفصيلا .

وكان يعمل على طرد هذا الطاعون ـ كما يسميه ـ من الساحة الادبية وفي المقابل فقد بدات الافكار المثالقة تستهويه جدا ، خاصة تلك المعادية

للفاشية والاستعمار ، واخذ الشعب الالماني بدوره يشخص حتى الايديولوجيات الدينية . فالايديولوجية الخطأ ، والتي تبتعد عن صلب تعاليم المسيحية في الحب والخير والسعادة كان يشير اليها الناس والكهنوت يضم صوته بالحاح مع الشعب لتحديد ملامح مثل هذه الايديولوجية في عالم الادب ، ولذلك فقد زاغ هذا الادب الى بعث فلسفة الوجود للبرجوازية المتاخرة بعد عام ١٩٤٥ فاستوردت من فرنسا ، وكتاهيل لاقرار هذا التيار وبعث استساغة الجمهور له ، فانه قد بدىء بالمسرح ، فسيطرت المسرحيات التالية : لقد نجونا ثانية للكاتب الامريكي ثورنتون وايلدر ، وحرب طروادة لم تقع للكاتب الفرنسي جان جيراردو ، ومسافر بلا امتعة للكاتب الفرنسي السريالي جان انوى ، والدرامات التي عمت المسارح كانت : الذباب و الايادي القذرة للكاتب والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر .

لقد لعبت فرق كثيرة امثال هذه القطع المسرحية ، ولزمن طويل على مسارح المانيا الغربية وبدا كثير من كتابها يتساءلون :

وماذا بعد ؟ولماذا هذا التيار بعينه؟بالرغم من ان سارتر غير موقفه في وقت لاحق ، وانضم الى الجبهة

المعادية للفاشية وللمناضلين ضد الحرب ، ونكل بالطغاة الامبرياليين ... ان ازمة واقع المانيا الغربية البست ثوب ازمة انسانية ، والانسان المعاصر عموما وعرضت على شكل هموم فردية محضة صورها هذا الادب كي يتمكن من الاجهاز على اثمن شيء لدى الشعب الالماني بعد الحرب العالمية الثانية : وهما الخبز والطمانينة . لقد صور الانسان من خلال هذا الادب على انه مخلوق ضعيف قذف به الى عالم غريب ، قذفته القوى المتصارعة بين فلكين ابديتين ، ولذلك فانه يقف على ارض مترنحة لا يدري من اين جاء ؟ والى اين يذهب ؟ وواضح جدا ان هذا الادراك اللا انساني ينسف مقاومة الانسان الواعي للاستعمار الالماني المنبعث ثانية ، اذا تكفلته ايديولوجية بهذا الشكل ، فانها تميت فيه القدرة بكل تاكيد على ادانة كل الظواهر السلبية التي تسحقه داخل مجتمعه .. لقد تمهد نتاج هذا الاتجاه بالحديث عن الانسان في واقعه اليومي المعاش ، ومن خلال هذه الايديولوجية ، فاصبح واضحا جدا انه سيصور عاجزا مشلولا تعبث به الاقدار الغامضة وقد سمي النقاد هذا الاتجاه في المانيا «الواقعية السحرية» Magischer Realismus وظل مفهوما في نظريات الادب مثل هذا الاتجاه الذي لا يرتبط بزمن معين او سياسة واضحة المعالم ، ومجتمع

انساني له واقع محدد . هذا الاتجاه في الادب يشكل ظاهرة مدانة جدا ، لانه لا يدور حول مشاكل الحياة الحقيقية للشعب الالماني ، وانما على العكس يروج تقبل افكار الامبرياليين ، ويقبلهم في مجتمعاتنا الانسانية كاناس لهم نزعات خيرة .

عملان مثلا هذا الاتجاه بوضوح تام وخطير : رواية هرمان كاساك (١٨٩٦ — ١٩٦٦ Hermann Kasack وعنوانها «المدينة تحت التيار» Des Stadt hinter dem Strom المنشورة عام ١٩٤٦ نشرت في البدء في جريدة مرآة اليوم Tages Spiegel كقصة موضوعة ، ثم ما عرضته اليزابيث لانك كيسر (١٨٩٩ — ١٩٥٠) Elizabethlanggässer في روايتها «الختم الثابت» Das unauslös chelische Sigel المنشورة عام ١٩٤٦ .

لقد كانت اليزابيث مطاردة من النازية مثل كاساك ، فهاجمت الحزب النازي في بداياتها ، غير انها لم تستطع — بعد تحقيق النصر على الفاشية — من اقتحام المسار لوجهة نظرها البرجوازية المتأخرة ومن خلال عملية الفرز والتصفية لقوى الشعب المعادية للفاشية بدات اليزابيث لانك كيسر هي زميلها كاساك بالتراجع ، روايتها «الختم الثابت» خليط من الكهنوتية والاغنوصية (التعجيزية) ،

ونظرة التصوف النابعة من المعتقد الديني ضد العلم والمعرفة عموما . ان هذا التوجه يحيق الضرر بحقول المعرفة الانسانية ، والتي ناضل الانسان طيلة وجوده على الارض من اجلها بجهده ووقته وحياته ليصل الى هدف اسمى .

وهنالك كاتب ثالث موقفه اوضح من موقف سابقيه هو : الصحفي هانس فيرنر ريشتر ١٩٠٨ Hans Werner Richter لقد انطلق من دعوى عدائه للتقدميين ، فكون عام ١٩٤٧ جماعة ادبية باسم «الفرقة ٤٧» Gruppe 47 ومن رايه رفض الادب المعادي للفاشية ، لانه ادب يحاول ان يمس الحقيقة مباشرة ، وليس هنالك حقيقة ثابتة في الحياة . وقد وقف عام ١٩٤٧ يشرح موقفه بموعظة مفادها : ان الانسان يمكن ان يتحلل من كل روابطه من جديد وفي خرائب الحقيقة الجديدة يخيل للانسان انه وجد طريقا لامان الوجود البرجوازي خلال حفر الوحل ، ومن خلال عذاب الياس والرعب ، وتفشي الشيطانية والقوى السوداء لا يمكن للانسان ان يصبح سيدا .. هذه واقعية عصرنا .. لقد خان هانس فيرنر ريشتر شعبه ، وبصورة مبكرة جدا ... ، فهو يرفض شكلا من اشكال الفاشية ويقاوم في جزء من موقفه تسلط الحزب الدمقراطي المسيحي في المانيا ، ولكنه لا

يدين بشكل رئيس دكتاتورية الاحتكاريين ، وممارساتهم اللامشروعة في بث الايديولوجيات الخطرة على حياة شعبه . ان نقده الاجتماعي يظل دائما نقد المتشائم المنهزم المنحرف ، وادبه من ثم يتلاءم جيدا مع مفهوم « الواقعية السحرية » Magischer Realismus من ان الانسان المعاصر يجب ان يحافظ على عدم الانفصام والمقاومة والتكوين . مثل هذا الانسان : هو الانسان الالماني الجديد الذي ظهر ايام الكفاح ضد الفاشية بصورة الالماني الوطني ، فيجب ان يحكم عليه من خلال الادب وفقا لتلك الصورة وبغض النظر عن الاسس الواقعية للفن تحاول ان تؤكد صورة العالم الخارجي كما هي .

لقد اصبح الفن عموما موضعا للتساؤل : فاذا ساد مبدأ ميكانيكي عقيم ، حاول الفن ان يرسم صورة العقم من خلال وجوده وتاثيره في صورة العالم الخارجي ، واذا حاولت العدمية ان تتحدث عن الانسان من خلال مفهومها ، وتساءلت عن اي القوى الغامضة تقبض على الانسان وتشد على وجود تاريخه كي تنزعه منه ، فان الواقعية ستتحدث عنه ايضا من خلال صورته في العالم الخارجي ، وستكون الرد الحاسم حتما على اصطناع ضياع كهذا .. لقد تبع تزوير الفاشست للتاريخ تيار

العدمية التاريخية للانسان لتتمكن قوى التسلط من تمرير مخططاتها السود حتى ترسم مصيرا مظلما للانسان . لقد وقفت تلك القوى المظلمة ضد الانسان منذ البدء ، ورسمت له صورة عاجزة حقا فبدا وكانه لا يملك حولا ولاقوة ، وكان قوى خارقة مجهولة رسمت له مصائر سوداء مرعبة . ان هذا التامل الميتافيزيقي يأتي لتغطية جرائم الفاشية ولمساعدة المحاولات التي تتجاهل المسؤلية والذنب ولا تؤمن بالتكفير عن ذنوب المجرمين الفاشست في كل زمان ومكان . لو كان ممكنا للحالات المنفردة من الفاشية ان تقابل الشعب كاشكال خاصة من السيطرة الاستعمارية المرفوضة ، فكيف يمكن للقوى التي تملك الفكر والايد والاصرار ان لا تقاوم هذه الاشكال المنحرفة ، التي حاول امثال هؤلاء الكتاب هرمان كاساك ، وهانس فيرنر ريشتر ان يشيعاها في ادبهم لقتل روح المقاومة . هذا الشكل من التحدي اللاانساني سيلقى مقاومة عنيفة لم يحسب لها حساب .

اول روايات ريشتر المصروعون Die Geschlagenen التي نشرت عام ١٩٤٩ ؛ واحداثها تدور في احدى ساحات ايطاليا الحربية ، وفي واحد من معسكرات اسرى الحرب وما يجري هنالك يحدث

ـ براي الكاتب ـ بصورة طبيعية في اي معسكر اسرى من ممارسات لا انسانية . ان هذه النتيجة هي حصيلة عدم الالتزام بمسوغات المسؤولية الانسانية ، وما يفعله الضمير الميت ، فقد حصل في هذه الرواية من ماجريات وكانها امر طبيعي الزم الانسان به . ان مسوغات المسؤولية الانسانية الخطا ، والضمير الميت يحيط باحداث كل الرواية وقد اظهر المؤلف كل الناس بما فيهم الفاشست ايضا عاجزين عن كل شيء .. لقد شكلوا على طراز وحشي ، وليس في قدرتهم تغيير ذلك .. انهم لا يملكون قوة ضد مشيئة التاريخ .. اليس هذا الطراز من التفكير يفسح المجال امام الوحشية لتنشب براثنها باللحم البشري الحي .. صحيح ان سرد الاحداث يروى جانبا اخر من حالات مفردة لنماذج بشرية شاذة ولكنها تجرد هذه النماذج من امكانية التصرف الحر ، وفي عرف العالم المتحضر ان الانسان مسؤول عما يعمل ، وهو الذي يكتب تاريخه الشخصي خيرا كان او شرا .

ان هذا التيار يعطي دفعا اقوى للممارسات الفاشية في المجتمعات المتقدمة تكنولوجيا وحضاريا ويوجد لها الموغ المكشوف لحركتها الشريرة الطافية في المجتمع الانساني . وقد حصل لمسرحية كارل تسوك مايسر (١٨٨٦) Carlzuckmayer

وعنوانها « الجنرال الشيطان » Des teufels General الشيء نفسه . تبعث هذه المسرحية على الشك ، لانها تعطي لجنرالات هتلر ظرفا للحركة وتبريرا لها .. ان قارىء هذه المسرحية يحس بالدناءة في الامثولة السياسية وتشككا فعليا. كتبها تسوك ماير قبل عام ١٩٤٥ ، وعلى وجه الضبط حوالي عام ١٩٤٢ ، وطبعها عام ١٩٤٦ ، ثم صورت فيلما سينمائيا عام ١٩٥٥.انها تصمم صورة لكل متخصص بالحرب الذي يخدم بنفسه الاشياء الرديئة الرخيصة ، ولم يباعد تسوك ماير نفسه من تحديدموقف قائده الجنرال الذي يسلم له الطاعة بالرغممن السمات المؤلمة ، وهكذا فان هذه المسرحية تبرير غير مباشر لارتباط قيادة الجيش الالماني بالفاشية عن فهم .. لقد ادرك تسوك ماير بنفسه الشك السياسي الموجود في المسرحية ، وهو ما يؤلد عليه ويكون مسؤولا امام الجمهور من انه يخدم الانتقامية في المانيا الغربية ، فسحب نفسه من هذا الموقف سنوات طويلة : كان ذلك اولا عام ١٩٦٦ ، فلقد غير المناظر الختامية ، وجعل مناضلي المقاومة جانبيين ، ونادرا ما تكتسب صورتهم بعض الحدة حتى في المرة الثانية وفي العرض الحر . مثلت هذه المسرحية في السنوات التالية للحرب ١٩٤٦ ، ١٩٤٧ كثيرا على مسارح المانيا الغربية

وهكذا فان هذا الادب غير الواقعي في اكثر تفاصيله كان قد ادى دورا رئيسا في القسم الغربي من المانيا في وقت مبكر جدا بعد الحرب العالمية الثانية وكان العبرة التي عاشها الشعب الالماني لم يتعلم منها ادباؤه شيئا . ان ما يجب ان يذكر في هذا الصدد انه ادب يتجنب الخوض في مشاكل حياة الشعب الالماني ، فبعد ان هيئت له الارضية الروحية ظهرت نتائج ذلك سريعا كاعادة تسليح المانيا مثلا .

وشيئا فشيئا فقد زحف هؤلاء الادباء نحو النور ثانية بادبهم اللامسؤول ، واغلبهم من المجرمين الذين اسندوا هتلر فكريا وتكيفوا الى حد للموقف المتغير ، فبرقعوا انفسهم برداء معاداة الفاشية ، وبدت الظواهر المدانة تترى متتابعة في ميدان الادب فالكاتب ارنست يونكر (١٨٩٥) Ernst Junger الفاشستي السابق ــ حرم من النشر بقرار صدر ضده عام ١٩٤٥ وسرعان ما رفع هذا القرار ، واستطاع ان يطبع كتابه الجديد « اشعاعات » Strahlungen عام ١٩٤٩ .

ان هؤلاء عادوا ثانية في الفترة الواقعة بين سنتي ١٩٤٨ ــ ١٩٥٢ . كممثلين للادب الرجعي اللا انساني ، ومتحدثين عن العسكرية والتعصب

القومي الاعمى والانتقامية ، فظهرت اسماء كثيرة اكثرها بروزا هانس كرم Hans Grimm وادفين اريش دفنكر Edwin Erich Dwinger وارفين كويدو كولبنهاير Erwin Guido Kolbenheyer وفيرنر ويملبورك Werner Beumelburg .

هؤلاء جميعا يدعون رؤية منعطف جديد في موقفهم المؤيد للاستعمار البغيض ، وهم يتعاطفون مع اعادة التسلح وتفشي الروح العسكرية والانتقامية المتسعة في المانيا ولم يتركوا انفسهم في انتظار طويل ابدا، فانهم يعللون ما يجد من ظروف بصورة تضليلية لاحد لها مع انهم يؤمنون في بواطنهم قطعا بزيف مواقفهم الخارجية وافتعالها . وهم يواجهون في الوقت نفسه مقاومة من جميع الكتاب اصحاب الفكر النير، الذين يدينون هذا النوع من الادب لاتصاله بظواهر سياسية منحرفة وخطرة في الوقت نفسه جرت وتجر المانيا الى اسوأ مصير يمكن ان يقع لامة على وجه ارضنا الصغيرة .

اهم المصادر

1. Abusch, Alexander, Literature im Zeitalter des Soziaylismus Band II, I Auflage, Aufbau- Verlag, Berlin und Weimar 1967.
2. Berger, Karl - Heinz, Heinrich Böll, Lebenund Werk, Schriftsteller der Gegenwart, Verlag - Berlin 1967.
3. Brecht, Bertolt, Schriftsteller der Gegenwart, Nr. 10, Volk und Wissen Volkseigener, Verlag - Berlin, 1963.
4. Brecht, Einlesebuch fürunsers Zeit Volksverlage Weimar 1963.
5. Becher, Johannes R., Leben und Werk Schriftseller der Gegenwart, Deutsche Reihe, Verlag Berlin 1967.
6. Becher, Johannes R., Gedichte 1942-1948, I Auflage, Aufbua - Verlag, Berlin und Weimar, 1967.

14. Jehser, Werner, Friedrich Wolf Leben und Werk, No. 17, Schriftsteller der Gegenwart.

15. Kaufmann, Hans, Bertolt Brecht, Geschichtsdrama und Pra belstuck Rütten unl Loening Berlin 1. Auflage, 1962.

16. Krauss, Werner, Aufsatze Zur Literatur geschichte, Verlag Philipp Reclam, 1968.

17. Literatur im Blickpunkt, Dietz Verlag Berlin, 1967. Ein Aufsatz unter dem Titel - Der Mensch im Widerspruch zur zerstörenden Gewalt seelenloser Prinzipien im Gesellschaftlichen lebenzu Heinrich Böll : Ansichten eines Clowns 1963 + S. 232-255.

18. Mann, Thomas, Überdeutsche Literatur, Verlag philipp Reclam Jun. Leipzig, 1965.

19. Middel, Eike, Thomas Mann, Versuch einer Einführing in Leben und Werk, Verlag philipp Reclam, Jun. Leipzig. 1966.

7. Deutsche Literaturgeschichte In Einem Band, Herausgegeben Von Professor Dr. Hans Jürgen Geerdts, Volk und Wissen Volkseigener Verlag Berlin. 1966.

8. Dentsche Literatur im Überblick, Ein Verfasser Kollektiv, Verlag philipp Reclam Jun Leipzig 1965.

9. Dahne, Gerhard, Westdeutsche Prosa, Ein Überblick, Schriftsteller der Gegenwart, Verlag Berlin 1967.

10. Diersen, Inge, Untersuchung zu Thomas Mann, Rüttenund Loening Berlin, 1965.

11. Frank, Leonhard, Fallada Hans, Schriftstellerder Gegenwart, Nr. 6, Volk und Wissen, Volkseigener Verlag - Berlin 1962.

12. Haase, Horst, Johannes R. Bechers Deutschland Dichtung, Rütten und Loening Berlin I. Auflage, 1964.

13. Hilscher, Eberhard. Thomas Mann, sein leben und werk, No. 15, Verlag Berlin, 1968.

20. Mittenzwei, Werner, Brecht, Vonder "Massnahme" Zu "leben des Galilei", Aufbau - Verlag Berlin, 1962.
21. Schuhmann, Klaus, Derlyriker Bertolt Brecht, 1913 - 1933 Rutten und Loening, Berlin, 1946.
22. Anna Seghers, Schriftsteller der Gegenwart, Nr. 4 Volk und Wissen Volkseigener Verlag Berlin, 1962.
23. Wirth, Günter, Heinrich Böll, Union Verlag, Berlin, 1961.

صدر من الموسوعة الصغيرة

١ ـ العرب والحضارة الاوربية ، د . فيصل السامر .
٢ ـ فلسفة الفيزياء ، د . محمد عبداللطيف مطلب .
٣ ـ الحقيقة الاشتراكية لحزب البعث العربي الاشتراكي عزيز السيد جاسم .
٤ ـ قضايا المسرح المعاصر ، سامي خشبة .
٥ ـ الصناعات البتروكيمياوية ومستقبل النفط العربي . محمد ازهر السماك .
٦ ـ الثورة والديمقراطية ، صباح سلمان .
٧ ـ دانتي ومصادره العربية والاسلامية ، عبدالمطلب صالح.
٨ ـ الطب عند العرب ، د . عبداللطيف البدري .
٩ ـ انغولا .. الثورة وابعادها الافريقية ، حلمي شعراوي .
١٠ـ معالجات تخطيطية لظاهرة التحول الحضري ، د . حيدر كمونة .
١١ـ مصادر الطاقة ، د . سلمان رشيد سلمان .
١٢ـ التراث كمصدر في نظرية المعرفة والابداع في الشعر العربي الحديث ، طراد الكبيسي .
١٣ـ التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية ، د . نوري جعفر .
١٤ـ الثقافة والتنظيمات الشعبية ، عبدالغني عبدالغفور.

المحتـــويات

١ ــ كلمــة لابد منهــا ٥
٢ ــ المانيا بعــد الحرب العالمية الثانية ١١
٣ ــ الشعــر الرحلي الالمــاني بعــد عام ١٩٤٥ .. .. .. ٢٥
٤ ــ الرواية والقصة القصيرة الملتزمتان ٥٣
٥ ــ الاتجــاه الدمقراطي البرجوازي في الرواية والقصة ٧١
٦ ــ المســرح الدرامي وتاثره بالظروف القائمــة ٨٠
٧ ــ التيــار البرجوازي الانســاني في القصة القصيرة في القسم الغــربي من المانيــا ٩٥
٨ ــ الواقعيــة الــحريــة وما تبعهــا ١١٢
٩ ــ اهم المصادر ١٢٥

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ــ بغداد
(١١٨٦) لسنة ١٩٨٠

دار الحرية للطباعة ـ بغداد
١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م